



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -



كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

فرع: الدراسات الأدبية تخصص: أدب مقارن وعالمي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

إشكالية الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة  
الفرنسية

" فترة الكولونيالية وما بعد الكولونيالية "

إشراف الدكتور:

جعفر يايوش

إعداد الطالبة:

❖ سليمان فاطيمة

السنة الجامعية: 2017 / 2018

# دعاء

يا رب ..... لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت  
ولا أصاب باليأس إذا فشلت  
بل ذكرني دائما بأن الفشل  
هو التجارب التي تسبق النجاح  
يارب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة  
وأن حب الإنتقام هو أول مراتب الضعف  
يارب إذا جردتني من المال أترك لي أمم  
وإذا جردتني من النجاح أترك لي قوة البقاء  
حتى أتغلب على الفشل  
إذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان  
يارب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتذار  
وإذا أساء الناس إلي أعطيني شجاعة العفو  
يارب إذا نسيتك فلا تنساني



# تَشْكُرَات

ربّنا الحنان ربنا المنان، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما  
أثنيت على نفسك سبحانه

إنما سعيينا بك و منك و فيك

فتقبّل ربّنا هذا منّا، عملا صالحا لوجهك.

نشكرك شكرا يليق بمقامك، و نحمدك حمدا بقدر جلالك،  
فالحمد لك و الشكر لك.

اتقدّم بالشكر و التقدير للأستاذ الجليل " جعفر يايوش "  
الذي قام بدور فعّال من أجل مساعدتي في إتمام هذه  
المهمة و لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه  
كما أشكر لجنة المناقشة التي ساهمت في تقويم هذا  
العمل المتواضع .

و أشكر أيضا كل من مدّ لي يد العون في إتمام هذه  
المذكرة بعد إذن من الله تعالى سواء بكلمة أو وسيلة أو  
دعوة خير .

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي ونجاحي إلى المولى - عز وجل - الذي أعانني بالصبر ومواصلة الدراسة.

إلى التي سهرت على تربيتي وزودتني بالنصائح والتي سقتني بعطفها ولم تبخل عليّ بحنانها، إلى من هي العقل المفكر و الرأي المدبر حياتها عبرة وكلامها حكمة.

إلى التي أحبها حب العنيد من الشريان إلى الوريد إلى:

أمي

إلى نور الوجود الذي أضاء درب الحياة و علمني أن الدنيا إهمال والآخرة أعمال ولم يبخل عليا بحنانها إلى أبي الحنون حفظه الله و رعاه.

إلى عائلتي الكريمة التي ترعرعت بين أحضانها، إخواني وأخواتي حسبية، مبارك عبد العزيز، أبة، وخصوصا الكتكوتة منال، وإلى كل من يحمل لقب سليمانني كبيرا وصغيرا.

إلى الصديق المقرب سامي عمر الذي ساندني في إتمام هذه المذكرة

إلى الصديق رشيد

وكما لا أنسى صديقاتي اللواتي رافقوني طوال خمس سنوات بما فيها من سهل و صعب آمال و نبية و ليلي، و كذلك نصيرة و إكرام و فائزة .

إلى كل من نساهم قلبي و لم ينساهم قلبي

إلى وطني الجزائر

مقدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

- الصلاة و السلام و كفى وعلى مولانا الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ————— أما بعد :

- تموج ساحة النقد الأدبي الجزائري بالعديد من الدراسات الجديدة الرامية إلى استكناه شتى أبعاد النص الأدبي الروائي سواء المكتوب باللغة الفرنسية أو اللغة العربية والكشف عن آلياته الفاعلة وعن حركته الخصبة مستهدفة الوصول إلى فهم أعماق طبيعة العمل الأدبي وخصائصه التي تميزه عن غيره من أشكال الكتابة المختلفة .

وتعتبر دراسة الرواية الجزائرية بالفرنسية من المواضيع التي لا جدال في أهميتها الفكرية والفنية، وقد لاقت الرواية اهتماما كبيرا رغم أنها من المواضيع الشائكة في الكتابات الأدبية القديمة والحديثة من حيث التشكيك في شرعيتها و انتمائها الوطني .

أصبحت الرواية العربية بشكل عام والجزائرية بشكل خاص مكانة رفيعة نظرا للموضوعات الخطيرة التي أضحى تعالجها اليوم بما في ذلك الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية فحتى اللغة لم تشكل عائقا أمام هؤلاء الكتاب للتصدي لهذه التيمات فرغم الجدل الحاد حول هوية وانتماء الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، إلا أنه استطاع تأكيد وعيه وحضوره ودليل على ذلك حضور أسماء لها وزنها في عالم الرواية والأدب على غرار أسيا جبار ومحمد ديب ،مالك حداد ،مولود معمري، كما لا ننسى أنهم أفضلية السبق في ظهور هذا الأدب .

- الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية وعلى غرار الروايات العربية التي اهتمت بتجسيد صورة الهوية والانتماء وذلك نظرا لأهمية هذا الموضوع في تحديد الإشكالية القائمة حول الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوب باللغة الفرنسية (فترة الكولونيالية وما بعد الكولونيالية ) .

وتأتي هذه الدراسة بعنوان إشكالية الهوية و الانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و يهدف الموضوع إلى تسليط الضوء على إشكالية الهوية والانتماء من خلال الإشكال القائم حول هوية وانتماء الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.

ومن هنا يمكننا طرح التساؤل التالي:

كيف تشكل الكتابة باللغة الفرنسية أزمة الهوية والانتماء في الأدب الجزائري؟

وقد شدنا إلى دراسة هذا الموضوع دوافع وأسباب منها:

معرفة انتماء وهوية الأدب الجزائري التي كانت محل جدال و لا زالت إلى حد الساعة

إعادة النظر في علاقة الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

- ولمناقشة هذا الموضوع والإجابة عن التساؤلات المطروحة ارتأينا انتهاج الخطة التالية

حيث تم تقسيم عملنا إلى فصلين ولكل فصل تضمن ثلاثة مباحث.

بدأنا بحثنا هذا بمقدمة شاملة للموضوع ثم مدخل تضمن مجموعة من التعريفات وتطرقنا في

فصلي بحثي إلى :

الفصل الأول الموسوم بإشكالية الهوية والانتماء ( مفاهيم وارتسامات ) في الأدب تفرع إلى

ثلاثة مباحث هي :

(1) - الرواية الجزائرية وإشكالية اللغة

(2) - الخطاب الروائي والميلاد المزدوج للأنا والآخر.

(3) - أزمة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

أما الفصل الثاني الموسوم بجدلية الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

الفرنسية وقسمناه إلى ثلاث مباحث:

(1) - كتاب جزائريون و اختيار الكتابة باللغة الفرنسية .

(2) - كتاب فرنسيون و كتابتهم بلغتهم الأصلية .

(3) - علاقة الأدب الجزائري بالأدب الكولونيالي .

وتليها قائمة المصادر والمراجع من أهمها:



أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته تطوره وقضاياها.

جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية .

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي وذلك نظرا لأنه ينسجم مع طبيعة الموضوع المتناول بالبحث والدراسة.

واجهتني جملة من الصعوبات التي غالبا ما تواجه الباحث أثناء اشتغاله وعلى رأسها قلة المادة العلمية وعدم ملائمة جو المكتبة لجو الطالب إضافة إلى الصعوبات المتعلقة بالترجمة من اللغة الفرنسية إلى العربية.

ولا ننسى أن نتقدم بالشكر الكثير لأستاذنا الفاضل "جعفر يايوش" الذي أشرف على إنجاز هذه المذكرة ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهه فجزاه الله عنا كل الخير.

مختار

## إشكالية الهوية و الإنتماء:

لقد شكل الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية محورا هاما في الأدب الجزائري الحديث و المعاصر، والتاريخ العالمي يزخر بأمثلة عديدة كتبوا بلغة غير لغتهم الأم إما طواعية أو مضطرين إلى ذلك، فقد عرفت ذلك البلدان أسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، كما أن هذه القضية ليست حكرا على الاستعمار الفرنسي وحده، بل وحدث آداب أخرى في المستعمرات الأوروبية، وقد كتبت بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية وحتى الهولندية، فإن إشكالية الهوية في الأدب وخاصة الرواية بصفة خاصة مطروحة أيضا بالنسبة للأدب الآسيوي والإفريقي واللاتيني الملفات الأوروبية، وقد تختلف من بلد إلى آخر حسب طبيعة الاستعمار فكانت اللغات المحلية مواجهة اللغات الدخيلة فالجزائري لغته الأم هي اللغة العربية وذلك بالسياسة التي اتبعتها الاستعمار الفرنسي في القضاء على اللغة العربية، وقد نجحت هذه السياسة بكسر البنى اللغوية والثقافية للجزائر إلى حد بعيد، فأدى هذا إلى ظهور جيل جديد من المثقفين لا يعبر إلا باللسان الفرنسي وخاصة الروائيين ومن هنا شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية وطرحت إشكالية حول هويتها وانتمائها، كما أثارت جدلا كبيرا بين نخبة من النقاد والدارسين حول تصنيفها أهى أدب جزائري أم أدب فرنسي؟<sup>1</sup>

لقد حاول بعض النقاد والباحثين إلحاق الأدباء والروائيين الجزائريين بالأدب الفرنسي بحجة أن قبل سنة 1962، كان القانون الفرنسي يلحق الجزائر بفرنسا ويعتبرها امتدادا جغرافيا لها، وأي إنتاج أدبي فيها ينضوي تحت مظلة الأدب الفرنسي والجهود التي قام بها الأدباء المعمرين في معالجة العادات والتقاليد الجزائرية وواقع المعمرين وفرض التعايش.

ولم يتوقف المعمرين عند هذا الحد بل أسسوا أدبيا جديدا سموه بالمدرسة الجزائرية، ومن المنضمين تحت لوائها (ألبير كامو) في رواية (الغريب) والتي جردت أحداثها في مدينة وهران، ولكنه من الموالين لسياسة الفرنسية، وأنه عاش بالجزائر متشبعا

<sup>1</sup> عبد الله الركبي، قصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط 1، 2009، ص 211

بالتقافة الفرنسية والفكر الغربي، ولم يفهم قط رؤية الشعب الجزائري ولا يشعر بمعاناته ومسؤوليته اتجاه قضايا وطنه ولم يعرف معنى ازدواجية اللغة.

وهذا ما وضحه عبد الله الركبي في قوله "الفرق يتمثل في الرؤية، فرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف تماما عن رؤية الكتاب الجزائرية سوى اللسان الفرنسي".

ولأن الروائيين الجزائريين كانوا أكثر معاشية للواقع الجزائري ومشاكلهم لم يمارسوا الأدب إلا بعد التجارب التي أتقنوها في الحرف لذلك جاءت موضوعاتهم الأدبية تعبر عن خبرة الشخصية بالمشاكل اليومية، وهكذا أكد (كاتب ياسين) مثلا قد احترف الصحافة والعمل في الموانئ والزراعة قبل أن يمارس الأدب أما "محمد ديب" فقد اشتغل محاسبا وناسخا ومعلما وصحافيا قبل أن يدخل ميدان الأدب والمهم أن نلاحظ أنهم جميعا قد مارسوا حرفة التعليم.<sup>1</sup>

وهكذا استطاع الروائي الجزائري أن يعطي للمتن الروائي المكتوب باللغة الفرنسية هوية وطنية ومحلية، ودافع عن قيمة الجزائرية والإسلامية والعربية، وتناول هذا الناقد الفرنسي (كلود ماني)، في كون الأدب يعيش عصر القصة الأمريكية باعتبار الظروف التي أفرزت أدبا قوميا في أمريكا، الذي كان محل اعتراف هي الظروف نفسها التي يمر بها أدب شمال إفريقيا المكتوب بالفرنسية. كما أنه يحمل الشخصية و الروح الوطنية في دفاع هؤلاء الكتاب عن ماض وتقاليد جزائرية خاصة وهذا تأييد على عروبة الرواية الجزائرية.<sup>2</sup>

ويبدو أن باب النقد الجنس الروائي الجزائري - لم يقتصر على مناقشة قضية انتمائه، بل تعداه إلى قضية اللغة، كون الكتابات كانت باللغة الفرنسية ولأنها شكلت عنصرا مشتركا بين الكتاب الجزائريين والمعمرين الفرنسيين، وهذا أخذ البعض على عاتقهم تجريد الأدب الجزائري من هوية الجزائرية والعربية إلى الفرنسية مستندين إلى تعريف اللغة هي الوسيلة الأساسية للتعبير ، وهي التي تحدد هويته وانتمائه الخاص للجنس والوطن والتاريخ والجغرافيا. وأن الروائي الجزائري أخذ منها بنياتها الجمالية والتعبيرية لتأسيس هذه اللغة هي التي فرضت عليه أن يكتب بها، وكان لزاما عليه أن يستعيرها لظروف يعلمها الفرنسي

<sup>1</sup> أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5 ، سنة 2005، ص 96

<sup>2</sup> عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، المرجع السابق، ص 249

قبل غيره، وتوجه آخرون إلى تعريف اللغة بأنها هي الهوية الأدبية غاضين النظر على أن اللغة من عناصر الهوية وليست العنصر الوحيد في تكوينها.<sup>1</sup>

ومن هنا نستخلص أن اللغة هي إحدى مكونات الهوية، وهي لغة استعملها الأديب الجزائري بتعريف الجرائم الاستعمار، ومن زاوية أخرى فأدب المقاومة لا يكون في اللغة لكن في مضمون وشكل و بناء المتن الروائي، وهذه اللغة التي وظفها الروائي الجزائري ليست حكرا أو ملكا خاصا، بل هي كما يقول الروائي (مراد بربون) اللغة الفرنسية ليسا ملكا للفرنسيين و ليست سبيلها سبيل الملكية الخاصة، وذلك لأن أي لغة يمكن تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للإبداع الأدبي، أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية أو وطنية "ووقف كذلك (مالك حداد) موقف المدافع، بقوله الشهير (نحن نكتب باللغة الفرنسية لا بالجنسية الفرنسية).<sup>2</sup>

إن مسألة ليست مجرد لغة فقط، بل هي انتماء تاريخي يسبقه انتماء جغرافي وانخراط في الضمير الجمعي ومساهمة في الكفاح إلى جانب الشعب الجزائري لا يعني سوى أنهم اختاروا الوطن الجزائري مهما كان أصلهم ومهما كان انتماءهم الديني ورأيتهالفكرية، وتأملهم الفلسفي، وتذهب إلى هذه الرؤية الكتابية "بامية عابدة" إذ تقول الأدب الجزائري هو كل عمل أدبي مؤلف سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية من قبل أي من سكان الجزائر الأصليين.<sup>3</sup>

وبهذا لا يمكن فصل الروائيين الجزائريين اللذين كتبوا الرواية باللغة الفرنسية عن هويتهم الجزائرية ولا تاريخ بلادهم النضالي المدافع عن القضية الجزائرية و هوية الأمة، كما أننا لا يمكن لأي كان أن يجردهم من هويتهم الوطنية في ظل العروبة والإسلام، وكذلك هويتهم التاريخية وانتمائهم الجغرافي لمجرد أنهم كانوا مضطرين إلى الكتابة باللغة الفرنسية، فقد عبر مترجم رواية الدار الكبيرة لـ ( محمد ديب ) قائلا: " أن تعد كتابة هذه رواية عربية مترجمة إلى اللغة الفرنسية لا لأن أبطالها عرب، ولا لأن أحداثها تجري في أرض عربية، ولا لأن مدارها على الآلام التي يتحملها العرب في الجزائر، ولا على الآمال

<sup>1</sup> عبد الله الركبي، الفرانكفونية مشرقا و مغربا، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1 سنة 1986، ص 84

<sup>2</sup> - جابر عصفور، الرواية واللغة والهوية، جريدة الأهرام، عدد 47046، سبتمبر 2015

<sup>3</sup> أديب بامية عابدة ، تطور الأدب القصصي الجزائري،ترجمة محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية،للجزائر،1982،ص

التي تجيش في قلوبهم، بل - أولا و قبل كل شيء - لأن العقل الذي أنجبها عقل عربي له أسلوبه الخاص في كل شيء، وفي النظر إلى الأمور، وفي الإحساس بالمشكلات وفي معاناة الحياة بل حتى في تصور الزمان والمكان.<sup>1</sup>

قال الكاتب ياسين وهو يشعر بمرارة عدم إتقانه اللغة الأم إن معظم ذكرياتي وإحساساتي وأحلامي ومناجاتي الداخلية تتعلق ببلادي، فمن الطبيعي أن أشعر بها في صيغتها الأولى، أي لغتي الأم العربية لكني لا أقدر على إنشائها و التعبير عنها إلا باللغة الفرنسية، أما ( مالك حداد ) فقد اعتبر أن اللغة الفرنسية انتهى دورها بعد الاستقلال، لأن الجزائر تعيش مرحلة جديدة من تاريخها، مُصرحا بعد توقفه عن الكتابة في إحدى مقالاته في جريدة النصر سنة 1974 كما كان على بعض فناني السينما الصامتة أن يختفوا وأن يتركوا أماكنهم لممثلي السينما الناطقة فإن على الكُتاب الجزائريين الذين ينتمون لجيل ولهم تكوين ثقافي عليهم أن يتخلوا عن أماكنهم للكُتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة العربية وأن يقتنعوا بترجمة أعمالهم إلى اللغة العربية في بلدهم، وما قصده الروائي (مالك حداد) هنا بالسينما الصامتة هو عجز الكُتاب الذين من جيله أن يكتبوا باللغة العربية التي أصبحت سينما ناطقة.<sup>2</sup>

وبرزت قضية الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، التي كانت أول قضية تطرحها الساحة الأدبية الجزائرية المستقلة، وأحدثت معركة أدبية اهتمت بها المجالات والراديو الجزائري والندوات واللقاءات التي كانت تقيمها الجهات المعنية للمناقشة مستقبله و مستقبل هذه الثقافة وحضارتها وماضيها كالذي نشرتها مجلة المجاهد اليومية 1963 وشارك فيها كل من أسيا جبار، بروبون ساحلي وأدارها محمد الصديق بن يحي، ودارت حول التغريب واللغة الفرنسية والعربية، ومستقبل الأدب الجزائري أما معركة فتدور أساسا حول جنسية الأدب هل يكون فرنسيا أم أدبا هجينا و تدور حول مصيره ومستقبله في الجزائر.<sup>3</sup>

الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من أكثر الإشكاليات تداولها بين النقاد طرحا من طرف الباحث، فالبعض يرى أنه فرنسي لأنه كتب بالفرنسية، واتخذ في بنياتها التعبيرية

<sup>1</sup> - محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة سامي الدروبي، روايات الهلال، الجزائر 1970، ص 10

<sup>2</sup> أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مجلة دار الثقافة، العدد 11، فيفري 2004، ص 17

<sup>3</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ط1)، سنة 2007، ص 87

والجمالية شكلا لها، ويرى البعض الآخر أنه أدب جزائري لأنه روح محلية وموقعها جزائري محض.<sup>1</sup>

وقد ذهب بعض الكتاب إلى القول بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرضته المرحلة وهو أدب انتقالي سيزول بمجرد زوال بواعثه وجاءت هذه الآراء مع اقتراب تاريخ استقلال الجزائر ووصفوا بأنهم كتاب جزائريون منفيون في اللغة الفرنسية وإن نصوصهم هي تماما مثل السينما الصامتة التي اختفت بمجرد ظهور السينما الناطقة ومثالنا في ذلك مالك حداد الذي انقطع عن التأليف بالفرنسية و بعد الاستقلال، وعليه هل الأدب المكتوب بالفرنسية هو أدب جزائري أم فرنسي، إلى أي جهة ينبغي أن ينتسب؟ إذ ما استعرنا تساؤلات الناقد أحمد منور، أيعد أدب فرنسيا كما يرى بعضهم نظرا إلى اللغة التي كتبها الجمهور الذي يتوجه إليه، وهل تكفي اللغة في هذه الحالة<sup>1</sup> للحصول على الانتماء وضمانه؟ أم يعد أدبا جزائريا باعتبار الروح الذي كتب بها، كما يقول آخرون و هل تكفي هنا الروح لتحقيق الهوية.<sup>2</sup>

هي التساؤلات الأكثر إلحاحا في النقد الأدبي الجزائري وأثارت كثيرا من الجدل بين مثقفي الجزائر وميزت الحديث عن الأدب الجزائري والذي شهد ذات الإشكالية اللغة التي انبعث فيها سؤال الهوية، هوية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وكانت محور الذي استقطب الصراع الثقافي والثورة التي أدارت حولها الجدل.

وقد طرح موضوع الأدب المكتوب بالفرنسية كإشكالية بعد استعادة الاستقلال الوطني ويعد "مالك حداد" الإستشراقية للمستقبل سياقاً لطرح مشكلة الهوية الأدب الذي كتبه الجزائريون باللغة الفرنسية في الفترة الاستعمارية، ومن أولئك ناقشوا إشكالية، وقد لامس أبعادها المتداخلة العميقة فوق بعدها اللغوي الثقافي المأسوي كما يسميه وعلى البعد الهويتي والقومي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عابدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1988، ص 53

<sup>2</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص 134

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 135 - 136

## أ) الأدب المكتوب بالفرنسية هو أدب جزائري

نجد أن هناك من يعترف بعروبة هذا الأدب وانتمائه الوطني الجزائري على الرغم ما يحمله من ثقافة عربية، من تدوين لغوي أجنبي وعلى هذا الضوء يعرج "عبد الله الركبي" حول الهوية فيقول مصرحا "وجملة القول فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فقد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو كتب بلغة أجنبية فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني وهذا ما يجعله أدبا محليا وطنيا. الكثير من الدارسين قد جاروا في رأيهم بالانتساب الوطني لهذا الأدب أمثال "أبو قاسم سعد الله" ولقد عبّر محمد ديب بكل وضوح حين تطلع بثقة كبيرة إلى ميلاد الأدب الجزائري صرح وقال " أن أدب قوم يظهر الآن عامة والجزائر خاصة و ذلك يمكن القول أن عملية التأسيس كانت مقصودة وهذا ما جعل الحركة الأدبية طلائعية ستعرف تطورا لاحقا مع استقلال الجزائر إنهم استطاعوا بأعمالهم أن يدخلوا لونا جديدا إلا أن الأدب الجزائري الحديث، أسهم بقوة في دعم مسيرة الأدب الجزائري.<sup>1</sup>

والكتّاب باللغة الفرنسية التحموا بالواقع الجزائري و الشعب و قاتلوا في خندق واحد مع جبهة نضالية واحدة، وساروا مع الجزائر في طريق النضال وتقاسموا معها عناء الحياة وشاركوا فعالية كبيرة في صنع تاريخها الثوري واستشراف أفق استقلالها.

حيث نجد أن في الوقت الذي تحاول فيه البرجوازية الفرنسية نفي الكيان الجزائري وطمسه وحيث أبرز "محمد ديب" وجود هذا الكيان ورسم تفاصيله بأشكال نافرة حتى يظهر بوضوح وهي النتيجة التي انتهت إليها نافذة يمني العيد من خلال مقاربتة للثلاثية في كتابتها الرواية العربية لأنها عرفت كيف تسجل الثورة الشعبية الكبرى وتحويلها إبداعيا وتروي ما كبدهت الجزائر من احتلال وقسوة وأن تروي ما سكت عليه الجزائريين ومن ثم النهوض بقضية الدفاع عن وجود و بقاء بلغة أخرى من أجل إيصال الفكرة فقط.<sup>2</sup>

كما بين الكاتب الجزائري مالك حداد في أكثر من موقف حقيقة الانتماء القومي للأدب الجزائري والذي لا يرد حسب رأيه إلى عنصر اللغة فحسب ولا مجرد عاطفة لكنها

<sup>1</sup> عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، المراجع السابق، ص 27

<sup>2</sup> واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحثا في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1986، ص 25



تقدس علاقتها بالموضوع، وبالبلد كافيته لتحديد فعل الانتماء، ويقدم "مالك حداد" بدور الأدب الجزائري المكتوب بالحرف الأجنبي بتصويره و تجسيده للمجتمع الجزائري بوسيلة لغوية أجنبية، مما أنتج خطابا هجينا و هذا حصيلة تفاعل الجسد اللغوي الأجنبي أدى بالنقاد إلى رفض هذا الأدب الجزائري و هذا تبعا لقوله: "إن أكبر النقاد في فرنسا يرون أدبكم هو أدب أجنبي يختلف اختلافا كبيرا عن الأدب الفرنسي أو بالأحرى يستعملون الصيغة التالية " الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري".<sup>1</sup>

لنؤكد هذا الوعي الحاد لدى الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية ودوره في رسم ملامح هوية الجزائر ودور الكتابة وتكريسها كأفق ممكن وترسيخ الثقة بالهوية الجزائرية والاعتزاز بالانتماء إليها نجحت هذه التجربة إلى حد كبير في خرق الحواجز التي نصبها الاستعمار أما المثقف الجزائري فقد خلق جوا أدبيا ترك أثره في مجرى الحياة الأدبية والثقافية والفكرية الجزائرية واستعملت اللغة الفرنسية كأداة للتعبير وقوة مضادة للاستعمار أنتجت بها مجموعة من الروايات والقصص من حيث مستواها الفني العالمي فرضت نفسها كتجربة فنية، لا يستهان بها أمام تجارب العالم الأخرى مع الحفاظ والتركيز على خصوصيتها الإبداعية الجزائرية باعتبارها تواجه إشكالية لغوية.<sup>2</sup>

كل هذا يمثل الفئة التي تعبر عن الأدب المكتوب باللغة الفرنسية أدبا جزائريا بدون نقاش ولكن كانت وجهة رأي آخر تماثلها فئة تؤكد أنه فرنسي نظرا إلى اللغة التي كتب بها.<sup>3</sup>

### ب - الأدب الجزائري أدبا فرنسي:

هنا نجد أن اللغة تكون سببا كافيا لتحقيق الهوية وإثبات الانتماء الفرنسي ولهذا الأدب فآثرنا الوقوف على شخصية عربية رغبة في الإطلاع على ما خلفته التجربة من مواقف إزاء الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية خاصة الأدب المكتوب بالحرف الأجنبي وهذا بناء على تلميحاته الداعية إلى عدم الانتقال الظاهرة اللغوية وضرورة أخذ الوسيلة

<sup>1</sup> يماني العيد - فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية و تميز الخطاب، دار الآداب ، بيروت لبنان (د.ط)1998 ،ص

<sup>2</sup> Jean Déjeaux « situation de la littérateurs maghrébine de langue française Alger 1982 p84

<sup>3</sup> محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط) سنة 2006، ص 60

اللغوية بعين الاعتبار في تحديد هوية النص المكتوب ، نجد أن اللغة الفرنسية لها دور هام في إثبات الهوية والانتماء للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لا نستطيع تسمية أدب جزائري إلا بعد أن تصبح اللغة الفرنسية رسمية في الجزائر.<sup>1</sup>

وهناك من يرى أن يحمل لواء العروبة مبرزا موقفه بضرورة اعتماد نصوص للحرف العربي وقد تبين من خلال هذا النضج أن الباحث يعتمد على نتيجة ودور الوظيفة الفنية و الأدبية واللغوية في تحريك الأدب الجزائري وبالتالي ينفي انتمائه إلى الهوية الجزائرية.

ومن هنا نقول أن الأدب المكتوب بالفرنسية هو أدب جزائري الصميم لأنه خلق من رحم الوطن حمل همومه وعذاباته، ولم يقتصر في رسم صورة الإرهاب الاستعماري ولا يعاب أصحابه في لغتهم و لغة العالم، هؤلاء الأدباء اللذين استشهدوا في حياتهم، لم يكونوا إلا مصورين في أدبهم إحساس و شعور وطني نبيل تصاحبه قمة الإمتاع الأدبي التي خلدت مآثره عبر الزمن.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري ، المرجع السابق، ص 94

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 60 - 70

### مفهوم الهوية:

يعتبر من الضروري التطرق إلى البعد الاجتماعي لدى تحديد مفهوم الهوية وعليه تعتبر الهوية الاجتماعية مُحصلة مختلف التفاعلات بين الفرد ومحيطه الاجتماعي القريب والبعيد، والهوية الاجتماعية للفرد تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعية كالانتماء إلى طبقة الجنسية أو عُمرية أو الاجتماعية ... الخ و هي تتيح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية وتُمكن المجتمع من التعرف إليه.

### المفهوم اللغوي:

جاء مصطلح الهوية في اللغة العربية من كلمة "الهُو"، ونعني بها مجمل السمات التي تميز الشيء عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها كل منها يحمل عدة عناصر في هويته <sup>1</sup>.

### المفهوم الاصطلاحي:

يقول ابن رشد في كتابه " تلخيص ما بعد الطبيعة " " إن الهوية تقال بالترادف بالمعنى الذي يطلق على الاسم الموجود وهي مشتقة من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان " وبهذا يعود بنا إلى مفهوم الهوية في منطق أرسطو باعتبارها تماثل الشيء مع ذاته، فهوية الإنسان في جوهره وحقيقته ولما كان في كل شيء من الأشياء كالثوابت والمتغيرات فإن هوية الشخص هي ثوابتها التي تتحدد ولا تتغير، تتجلى دون تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، وتجمع الهوية ثلاثة عناصر أساسية هي: العقيدة التي تُوفر الرؤية للوجود واللسان الذي يجري التعبير بيه والتراث الثقافي الضارب في التاريخ وفي نفس السياق يرى "جاك بيرك" أن الهوية تتحدد من خلال:

(1) - الاستمرارية والتحول لأن لا توجد هوية من دون تعبير.<sup>2</sup>

(2) - في الهوية يلتحم الذاتي مع الموضوعي من خلال تبادل كل من الأنا والآخر

المنظرة إلى هويتهما .

(3) - الهوية نشطة وحركية.

<sup>1</sup> [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)، أطلع عليه بتاريخ 2018/05/08 على الساعة 14:38

<sup>2</sup> ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة ، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مصر، ط1، سنة 1998، ص11

(4) - الهوية كلية أو مركبة تنقسم إلى عناصر وأجزاء مرتبطة

- تتميز الهوية بالتبادل بين أجزائها وتقاطعها مع هويات أخرى في علاقة جدلية ما يجعلها حركة و حية، فأما الهوية المستمرة تتناقل خطوطها الكبرى من جيل لآخر وأما المتحولة فتشكل بواسطة التأثيرات التي تتلقاها، وتعتبر الهوية المرآة العاكسة لرسم الذات خشية الذوبان والانحلال، إن الهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل أي أنها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ.<sup>1</sup>

### - خصائص الهوية:

(1) - عناصر مادية فيزيائية:

- الحيازات: الأسماء والملابس والمساكن.

- التنظيمات المادية: التنظيمات الدولية والإقليمية والدولية والمحلية.

- القدرات: القوة الاقتصادية والمالية والعقلية.

- الانتماءات الفيزيائية: الانتماء الاجتماعي والتنوع الجغرافي والسمات الفيزيولوجية.

(2) - عناصر تاريخية:

- الأصول التاريخية: الأسلاف، القرابة، القبيلة.

- الأحداث التاريخية الهامة: التحولات السياسية، التنشئة الاجتماعية.

- الآثار التاريخية: العقائد، العادات والتقاليد.<sup>2</sup>

(3) - عناصر ثقافية:

- الأثر الثقافي: الأديان والرموز الثقافي، أشكال التعبير المختلفة.

- الأثر المعرفي والسمات النفسية الخاصة، نظام، القيم.

(4) - عناصر نفسية واجتماعية:

- القيم الاجتماعية: الكفاءة، النوعية والقدرة.

<sup>1</sup> ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة، المرجع السابق، ص 12

<sup>2</sup> جريدة الرياض، قراءة في مفهوم الانتماء الوطني، . عبد الله بن ناجي آل مبارك، العدد 2، جوان 2017

## - مفهوم الانتماء:

- لغة: قد عرف هذا المفهوم لغة بأنه الانتساب فانتماء الولد إلى أبيه وانتسابه إليه واعتزازه به، والانتماء مأخوذة من النمو والزيادة والكثرة والارتفاع فالشجرة ينمو كذلك الإنسان.

- اصطلاحاً: الانتماء هو الانتساب الحقيقي للدين الإسلامي والوطن فكراً و مشاعر ووجدانا واعتزاز الفرد بالانتماء إلى دينه من خلال الالتزام بتعاليمه وإثبات على منهجه و تفاعله مع احتياجات وطنه وتظهر هذه التفاعلات من خلال بروز محبة الفرد لوطنه والاعتزاز بالانضمام إليه.

ولقد ارتبط الإنسان منذ وجوده بشيئين هما الزمان والمكان فالإنسان مرتبط بالمكان من حيث وجود ذاته، وإذا كان المكان يدل على وجود الإنسان في جزء معين منه فإن الزمن هو الذي يحدد مدى هذا الوجود وكميته ولذلك فالمكان هو الوطن والانتماء المكاني هو الانتماء الوطني، فإن حب الوطن واجب على كل فرد اتجاه وطنه.<sup>1</sup>

يعد الانتماء حاجة من حاجيات الهامة التي تشعر الفرد بروابط مشتركة بينه وبين أفراد مجتمعه وتقوية شعوره بالانتماء إلى الوطن وتوجيهه توجيهها يجعله يفتخر بالانتماء ويتفانى في حب وطنه ويضحى من أجله كما أن مشاركة الإنسان في بناء وطنه تشعره بجمال الحياة وبقيمة الفرد في مجتمعه و يُنمي لدى الفرد مفهوم الحقوق والواجبات، وأنه لاحق بلا واجب، وتقديم الواجبات قبل الحصول على الحق، ومن مضامين الانتماء قيمة الاعتزاز والفخر بالانتساب إلى الوطن.<sup>2</sup>

## - مؤشرات الانتماء:

ومن هنا ينبغي أن نكتشف ما يراه المشاركون من عناصر الانتماء ومؤشرات واقعية له بحيث يوجد الانتماء بوجودها ويفتقد بفقدانها ولعل من أهمها.

- ثقافة الجماعة: فالفردانية هي ألد أعداء الانتماء الصغير والكبير.

- الرؤية الحضارية، فالرؤى المبشرة والجزئية لا تضع انتماء حقيقياً، وإن أعمت

ارتباطاً ما.

<sup>1</sup> - نادية مصطفى، أسامة مجاهد، ماجد إبراهيم، دوائر الانتماء و تأصيل الهوية، ط 1، 2013 ص 15

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 16

- الثقة في الوطن.
  - الأمل الفسيح في مستقبل الوطن والأمة.
  - الانتماء بالعمل وذلك بأداء الواجبات لا سيما ذات البعد العام إنما هو إمارة الاغتراب أو الخيانة.
  - المشاركة العامة.
  - العمل التطوعي والتنموي.<sup>1</sup>
  - التماسك الأسري و الاجتماعي.
  - التضامن عبر الأقطار نحو الأمة و الإنسان.
  - مقارعة الفساد و الاستبداد.
- وإن الانتماء حقيقة معنوية، فإن الذي أكد عليه المتلقي أنه لا يتجسد لروح الانتماء، فإنها تتلاشى شيئاً فشيئاً.<sup>2</sup>

### - وظيفة الانتماء وغايته:

- وهذا ما يتصل بحديث مصلحية الانتماء وقيمه، فمن المهم التأكيد على أن للانتماء منطلقه الذي ينبع منه والذي يجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى الإحساس بيه واعتناقه على أساسه، وأنه ينبغي في منطلق الانتماء أن يصب في النهاية في وظيفة حياته فعالة تؤكد على صدقية الانتماء، وتُجسد طاقاته وإلا ضمرت شجرته بعد حين .
- فالانتماء إلى الأوطان و الدوائر الحضارية والإنسانية ينبع من القلب والوجدان وتُحركه فطرته.

وربما الغريزة الحية، والانتماء إلى الدوائر الاستراتيجية قد يصدر عن التفاعلات العقلية والحسابات الراشدة، لكن هذا لا يكفي ما لم يُمارس هذا الانتماء وظائفه وأدواره ويصل إلى غايات واقعية في مسيرة الحياة وتفاعلاتها، فالإيمان قول وعمل وكذا الانتماء إلى الأوطان ليس شعراً ولا شعارات والانتماء إلى الدائرة العربية ليس بالأمني والأغاني، فالانتماء إلى أمة الإسلام وحضارته ليس طقوساً ولا مظهراً والانتماء إلى الدائرة الإفريقية

<sup>1</sup> نادية مصطفى، دوائر الإنتماء و تأصل الهوية، المرجع السابق، ص 16

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 17

والإنسانية لا يكفي فيه إعلان البراءة من العنصرية والاستعداد للتضامن مع قضايا هنا وإغاثات هناك، الانتماء لا يكتمل ولا يتحقق إلا حين يُحب المرء لأهله ما يحب لنفسه والعكس، فعاليته إلى حين يسعى في مصالح دائرة انتمائه كأنها هي مصلحته الخاصة.<sup>1</sup>

### - علاقة الانتماء بالهوية :

وللانتماء جناحان على قدر قوتهما يكون تحليقه وارتقاؤه، جناح جَوّاني ينطلق من الهوية وتحقيق الذات وهذا بعضه ضروري غير مكتسب كالانتماء للأبوين أو للأرض التي نشأ الإنسان عليها وبعضه يكتسبه الإنسان عن رؤية وقناعة كالانتماء للدين والاتجاه الفكري والسياسي والحضاري وما ينطوي عليه من قيمٍ يتعلق بالمصالح المتبادلة والمنافع المُحصلة بين الإنسان المنتمي ودائرة انتمائه، وكلما ضعف أحد الجناحين في نفوس المجتمعات وأفرادها أو في واقع حياتها ومعايشتهم كلما وهن حبل الانتماء وتعرض للترهل والانقطاع، لقد كشفت نقاشات عن أهمية الارتباط الهوية الذاتية بصلة المعنوية، الوطن والأمة والإقليم والإنسانية إلى حقائق واقعية.

كما أن دائرة الانتماء نفسها لقد تضاربت الرؤى حول دائرة الانتماء منهم من يرى الأولوية للوطن و الأخر الأولوية للإقليم الاستراتيجي فضلا عن من يدعوا لمنح مزيد من العناية بدائرة العالمية وقيمتها و بالمثل تراجعت دوائر الهوية والانتماء مثل الدائرة الإفريقية و الإسلامية حين لم تعد تترجم عوامل الارتباط التاريخي والحضاري بها إلى مصالح وطنية واستراتيجية واضحة ومما لا شك فيه أن الانتماء ما لا يُثمن - ولا ينبغي أن يُثمن - بالمصالح المادية و العوائد الاقتصادية، وينبغي أن يقتصر في الوعي على هذه الجوانب الاقتصادية، إن عِزة الفرد وكرامته في وطنه وكذلك مكانة الوطن في الساحة الدولية و الإقليمية و استغلال إرادته وامتلاكه زمام أمره هي من المصالح القيمة والقيم المصلحية في آن.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نادية مصطفى، أسامة مجاهد، ماجد إبراهيم، دوائر الانتماء وتأسيس الهوية ، المرجع السابق ،ص 12

<sup>2</sup> المرجع نفسه ،ص 13

# الفصل الأول



## المبحث الأول: الرواية الجزائرية و إشكالية اللغة:

تعد من أهم الأجناس الأدبية التي حاولت تصوير الذات والواقع وتشخيص مشكلاته، كما أنها استوعبت جميع الخطابات والأساليب والأنواع والأجناس الأدبية والفنية الصغرى، حتى صارت الرواية جنسا أدبيا متفتحا، وقابلا لاستيعاب كل مواضيع والأشكال الأدبية والجمالية.

الرواية جنس أدبي خيالي حديث يعتمد السرد والنثر، وتجتمع فيه مجموعة عناصر متداخلة أهمها، الراوي والأحداث والشخصيات والزمان والمكان إنها نقل الراوي الحديث محكي تحت شكل ادبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع تشبه التركيب بالقياس إلى المصير السينمائي بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع.<sup>1</sup>

إذن الرواية هي عمل فني يتعرض لقضايا عبر أحداث متداخلة تحدث وفق منطق معين لا بد لكل رواية قصة و هدف يسعى الكاتب تحقيقه من خلال روايته فكل ما يستعمله الكاتب يخترعه من شخصيات وبيئات وحوادث وغيرها إنما هي وسائل يديرها ويُسْغَلها حتى يصل إلى غايته وفكرته التي يسعى إليها وربما تكون هذه الغاية:

- الإصلاح الاجتماعي.

- الاعتراض على الحكومات و السياسات الفاسدة.

- نقد أحد الشخصيات التي تُضايقه في المجتمع.

- نظرية يُريد أن يثبتها و غيره معترض عليها ومُنكر لها.

- أو الهدف هو السخط على الحضارة والحياة.<sup>2</sup>

وأحيانا يكون الهدف غامضا يلححه القارئ أو ممن كانت له ملكة أدبية ومعرفة

بأسرار الأمور الأدبية يفهمها من خلال بعض المشاهد والمحاورات ويستق المغزى

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د،ط)، سنة 1990، ص

28-29

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 32

وأحيانا يكون واضحا ومباشرة وصريحا، وفي بعض الأوقات لا تظهر فكرة الكاتب من خلال أعماله الفنية والأدبية وهذا ما يبيح علم وهذا ما يقوم بيه علماء النفس وقد لا تخرج الفكرة أبدا مهما بحث الباحثون وحلل المحللون إلا بعد موت الكاتب كما حصل للأدبية " فرجينيا" التي بينت في أحد أعمالها أنها ستقدم على الانتحار، فلم يكشف هذا أحد إلا بعد أن انتحرت وحللت أعمالها الأدبية طبعاً هؤلاء انحرفوا عن الهدف الأسمى من العمل الروائي والذي تحول في نظرهم إلى الهروب من واقع السخط ولم يُعالجوه بشكل صحيح وإنما عبروا عن هذا السخط بالانتحار وهذا هو انحراف عن جماليات الفن الروائي والإبداعي الذي يكون وسيلة للتعبير والتعمير والبناء.<sup>1</sup>

فبنظر الغرب لطالما ارتبطت بإشكالية نشأة الأنواع الأدبية بآراء عديدة نفت عنها صفة الدقة فيما يخص الإطار الزمني الذي احتضن أول بواكيرها بحجة ترابط الظهور الجيد يسبقه الشكل وله ركيزة التي ينطلق منها، وفي نفس السياق يريد "عبد القادر شرشار" رأياً مماثلاً إذ يقول "إن التفكير في تحديد نشأة نوع أدبي ما، تفكير يُشوّه الجذر لأن الوقوف العلمي الدقيق والموضوعي على ميلاد نوع أدبي ما يعتبر من باب الميتولوجيا لأننا لا نملك مقياساً للولادة لهم إلا بعض الدلائل التي تحمل في مضمونها أحيانا أوجه التناقض".<sup>2</sup>

بالحديث عن البدايات كانت الرواية في أوروبا نوعاً أدبياً معموماً ومُهمشاً يقبل عليه الشباب من أجل الاستمتاع والترقية بعيداً عن حياة الجد والصرامة التي كانت تفرضها الأسر الأوروبية على أولادها، حيث كانت تُحذرهم في قراءة الروايات ناهيك عن موقف الكنيسة المعروفة من كل ما هو مُدّنس، ولأن الرواية ارتبطت باللهو والمجون والغرام والتسلية والفكاهة وذلك بالمقارنة مع الأنواع الأدبية السامية كالشعر والملحمة والدراما ساد هذا التصور السلبي إلى غاية القرن 18.

لقد ارتبطت نشأة الرواية في النصف الأول من القرن 18 في بريطانيا قبل سواها من الدول بجملة من الشروط الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي شكلت جواً ملائماً لظهورها

<sup>1</sup> شرشار عبد القادر، الرواية البوليسية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. (د.ط) 2003 سنة - ص 25

<sup>2</sup> نعيصة جهاد، في مشكلات السرد الروائي، قراءة خلافية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط) سنة 2003

لعل أبرزها ارتفاع عدد الأشخاص الذين يُجيدون القراءة والكتابة وزيادة نسبة التعليم، وزيادة الطلب على المادة المقروءة خصوصا للنساء.<sup>1</sup>

بيد أن الرواية ستتعمق في القرن 19 وتُصبح الشكل الأدبي الوحيد القادر على استنطاق الذات والواقع واستقراء المجتمع والتاريخ بصدق موضوعي مُوثق، والتخيّل الفني يوهم بالواقع مع كوكبة من الروائيين الكبار نذكر على سبيل المثال لا الحصر " بليزاك وزولا وفلوبير وتولوستوي، ودويستفسكي ومن ثم فقد عدت الرواية عند منظريها ملحمة برجوازية وأُعتبرت أداة للصراع الاجتماعي ضد قوى الإقطاع والاستغلال والقهر ثم إلى سلاح شعبي خطير للمناهضة والاستبداد وإدانة الواقع و تصفيه القيمة المُنحطة والتغني بالقيم الأصلية وناشدة الواقع الإنساني مثالي أفضل تعم فيه السعادة والعدالة والفضيلة والحرية حيث يعيش المجتمع بسلام.<sup>2</sup>

قد ظهرت روايات شهيرة في الغرب رواية للإسباني "سرفانتس" مؤلف "دون كيشوت"، والإنجليزي "دانيال ديفو" مؤلف "روبنسون كروز".

والرواية بنظر العرب فقد دخلت إلى الثقافة الغربية عن طريق الترجمة وقد أثر المترجمون وبعدها المؤلفون لتماشيها مع ذوق القراء والخضوع لها هو سائد في الأدب العربي آنذاك من خلال إلباس الروايات المترجمة والمؤلفة حُلة تراثية كانت تسيطر على الذوق العام للجمهور والقراء، وقد ظهرت هذه العناصر في شكل رواية ومضمونها " وكان للمقامات تأثير واضح في الروايات المترجمة والمؤلفة، فخضعت لغة الرواية للسجع، وكثرة المترادفات والمفردات الصعبة وكان لألف ليلة وليلة تأثير واضح في المضمون، فبرزت في النص الروائي معالم بطل الحكايات وخضعت الأحداث للمصادفات، ولعجائبي والخارق.

وبعد اتصال العرب بالغرب الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر من العوامل الحاسمة في ظهور عدد من الأجناس الأدبية الحديثة في الأدب العربي ومنها الرواية، فطوال ذلك القرن ترجمت وعربت الآلاف من الروايات الغربية.

<sup>1</sup> شاهين مجد، أفاق الرواية البنية والمؤثرات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة 2001، ص 10.  
<sup>2</sup> وتار محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ط1، سنة 2002، ص 09

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر أولى محاولات التأليف الروائي في اللغة العربية، منها محاولة سليم البستاني في كتابه " الهيام في جنان الشام " سنة 1862 ومحاولة علي مبارك " علم الدين" روايات "جورجي زيدان" التاريخية، ومن أبرز تلك المحاولات "حديث عيسى بن هشام" التي نشرها محمد المويلحي في مجلة مصباح الشرق بين سنة 1900 وسنة 1902 و لأنه كان محافظا فقد أراد أن يستخدم القلب الروائي لتصوير التناقضات التي كان المجتمع المصري الحديث يعاني منها آنذاك، لكن مع اعتماد لغة نثرية تذكرنا بأسلوب المقامات العربية، واليوم هناك إجماع في الأوساط النقدية أن رواية (زينب) التي نشرها "محمد حسين هيكل" سنة 1912 هي من أوائل روايات العربية الناضجة.

وتعتبر إشكالية الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية التي تكتب باللغة الفرنسية من أكثر الإشكاليات تداولاً بين النقاد وطرحاً من طرف الباحثين فيرى البعض أنها أدب فرنسي لأنها كتبت باللغة الفرنسية واتخذت من بنياتها الجمالية و التعبيرية شكلاً لها، ويرى البعض الآخر أنها أدب جزائري لأن روحها محلية وواقعها جزائري محض.<sup>1</sup>

إن الكتابة باللغة المستعمر ليست بالأمر الجديد على الساحة الأدبية العالمية، تفرقت في بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، كم أنها ليست حكراً على الاستعمار الفرنسي وحده فقد وجدت آداب أخرى في المستعمرات الأوروبية، وقد كتبت بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية وحتى الهولندية، إذن إشكالية هوية الأدب والرواية بصفة خاصة مطروحة أيضاً بالنسبة للأدب الآسيوي والإفريقي واللاتيني المكتوب باللغات الأوروبية وقد تختلف بعض البلدان عن الأخرى في طبعة الاستعمار ومكانة اللغات المحلية في مواجهة اللغات الدخيلة فالجزائر مثلاً اعتمدت لغة واحدة هي اللغة العربية في تعاملاتها، وإدارة شؤونها قبل الاحتلال، ولكن بعد الاحتلال زاحمت اللغة الفرنسية التي فرضها المستعمر اللغة السائدة وحاول من خلالها خلق ازدواجية لغوية تنصر فيها اللغة الفرنسية لأن اللغة العربية كانت محاربة بكل الطرق والوسائل.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أحمد منور؛ الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، دار التنوير، الجزائر، (ط1)، 2013، ص74  
<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص76.

استراتيجية تضمن تفكيك الموروث التاريخي والثقافة للجزائر وتخلق صراع طبقي بين مجموع المتكلمين، أما في حالة البلدان التي تعددت لغاتها و لهجاتها ولمحاتها قبل فترة الاحتلال مثل الهند، فقد ساهمت لغة المستعمر في توجيه الجهود الفكرية وتبقى واحدة تجمع أبناء البلد الواحد الذين يتكلمون لهجات مختلفة يضاف إلى ذلك طبيعة الاستعمار، فالاستعمار الاستيطاني في الجزائر عمل على هدم البنى اللغوية والثقافية بغية طمس معالم الهوية الأصلية واستبدالها بأخرى جديدة وغريبة، أما نظم الحماية والوصاية التي طبقت في بلدان أخرى فلم تجعل نصب أعينها تهديم البنى اللغوية المتأصلة في الشعوب المستعمرة واعتبر الأدباء والروائيون ككتاب فرنسيين قبل سنة (1962) وذلك لأن الوضع القانوني للبلاد يلحقها بفرنسا ويعتبرها جزءا منها وأي إنتاج أدبي فيها ينضوي تحت مظلة الأدب الفرنسي ولكن المعمرين ممن كانت لهم إنتاجات أدبية حاولوا أن يستقلوا بإنتاجاتهم ويميزونها عن غيرها بإعطائها صفة الانتماء إلى الجزائر وقد مثلهم " لويس برتران " الذي أنشأ برفقة آخرين جمعية أدبية سميت (جمعية الكتاب الجزائريين) وألحقوا بها مجلة وجائزة أدبية عالج الكتاب من فئة المعمرين في نصوصهم مواضيع عدة منها العادات والتقاليد العربية والإسلامية لدى السكان من الأهالي، واقع المعمرين وإنشغالاتهم، مسألة الزواج بين الطوائف (مسلمين- مسيحيين) أو فرض التعايش بينهم، ولم تخل بنياتهم اللغوية من مخردات مستمدة من اللهجة المحلية وسميت هذه الحركة بحركة الجزائر.<sup>1</sup>

حاول بعض الباحثين وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في خانة واحدة مع الأدب الفرنسي المكتوب في الجزائر منها روايتي " الطاعون والغريب " لألبير كامو التي جرت أحداثها في مدينة وهران وقد سمي هذا التوجه الأدبي بمدرسة الجزائر أو مدرسة الشمال الإفريقي للأدب حيث كشفت كتاباتهم عن رؤية عن رؤية عالمية وتوجهات إنسانية ولم تهتم كثيرا بالقضاء عن الواقع المرير الذي عاشته الجزائر في تلك الفترة (1939) حتى وإن ضمت كتابا ولدوا في الجزائر ولكنهم كانوا موالين لسياسة فرنسا وكانت كتاباتهم امتدادا لكتابات الفرنسيين داخل فرنسا ما يجعلها في حالة تنافر مع الكتابات التي كتبها الجزائريون باللغة الفرنسية فالجزائر كانت بالنسبة لهم الأم وليس الوطن البديل كما عبّر

<sup>1</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق، ص79

عنها الكتاب الفرنسيون الذين عاشوا في الجزائر والذين كانوا متشبعين بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي ومنتمين إلى فئة مغايرة لم تفهم تطور رؤية الشعب الجزائري ولم تشاركه شعوره حيال عدة قضايا جوهرية ولم تعرف معنى الازدواجية اللغوية.<sup>1</sup>

شكلت اللغة الفرنسية العنصر الذي كتبوا به عنها، وقد اعتبر هؤلاء عدا الكتاب ذو الأصل والمنشأة الجزائري أنهم جزائريون وأن أدبهم كذلك وأن "الأحداث الأخيرة" كما اصطاحوا على تسمية الثورة لن تؤثر فيهم و في إنتمائهم للجزائر بالمرّة كل من أراد ذلك لأن المسألة أعمق بكثير من مجرد اجتياز الانتماء إلى بلد دون آخر وأن الأنتماء التاريخي يسبق الجغرافي والانخراط في الضمير الجمعي و المساهمة في الكفاح إلى جانب الشعب بمنح حقا شرف الانتساب إلى الجزائر تماما إلى مثل ما فعل هنري كرا و جاك سيناكيرج الملك حداد الفرق بين الكتاب المستوطنين والأهالي رغم أنهم يكتبون بلغة واحدة من الحنين إلى اللغة الأم التي منعوا من تعلمها فأصبحوا بذلك أيتام بالإضافة إلى الانتماء للدين الإسلامي والثقافة الجزائرية بكل مقوماتها.

ذهب بعض الكتاب إلى القول بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرضته المرحلة وهو أدب انتقالي سيزول، بمجرد زوال بواعثه وجاءت هذه الآراء مع اقتراب تاريخ استقلال الجزائر ووصفوا بأنهم كتاب جزائريون منفيون في اللغة الفرنسية وأن نصوصهم هي تماما مثل السينما الصامتة التي اختفت بمجرد ظهور السينما الناطقة ومثالنا في ذلك مالك حداد الذي انقطع عن التأليف باللغة الفرنسية إلا نادرا بعد الإستقلال ودعا الكتاب الآخرين إلى تبني موقفه وفسح المجال للكتاب باللغة ومما أثار الإنتباه، رفضته تسمية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية واستعماله عوضا عن ذلك، "الأدب الفرنسي ذوالتعبير الجزائري" فهو فرنسي بالنظر إلى وسيلة التعبير و لكنه جزائري قلبا و روحا.

حتى "محمد ديب" الذي لم يرشو في استخدام اللغة الفرنسية ويعود ليقول "إنه لن يشعر أبدا بالانتماء لمجتمع ما بمجرد الكتابة بلغته. فالانتماء يكون دوما للأرض والجذور".<sup>2</sup>

أما "مولود معمري" و"كاتب ياسين" فلا يرون في توظيف اللغة الفرنسية غير وسيلة لتوصيل أفكارهم لا يشعروهم ذلك بأي عقدة بل هو إقراء للأدب الجزائري.

<sup>1</sup> منور أحمد: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياها، المرجع السابق ص125

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 126

لقد ظهرت إشكالية الكتابة باللغة الفرنسية أكثر بعد الاستقلال وجملاء المستعمر وظهرت إشكاليات جديدة لمن سيكتبون؟ وماذا سيقولون بعد أن انتهى الصراع واستردت الحرية.

كانت نسبة الأمية في الجزائر غداة الاستقلال تناهز 85 بالمائة من عامة الشعب أما الفرنسية فقد تكلم وكتب بها عدد قليل من الجزائريين الذين ينتمون للطبقة المثقفة التي شكلت آنذاك أقلية. أما العربية فلم تكن أحسن حالا نتيجة سياسة محاربة اللغة العربية التي أنتجت الاستعمار، وحتى إختيار الانتقال من الكتابة باللغة الفرنسية إلى العربية لم يكن متاحا نظرا لجهل الكتاب بأدبيات وجماليات هذه اللغة استثناء قلة قليلة وضعف عدد القراء المحتملين، فأعترل مالك حداد الكتابة بالحرف الفرنسي وتوجه ديب إلى عوامل الرمزية والتجريدية بعيدا عن أدب النضال الذي كتبه وسلك "كاتب ياسين" منحى مغاير باختياره التأليف المسرحي باللهجة الجزائرية التي اعتبرها أقرب وسيلة تخاطب قول العمال والفلاحين والطبقات الكادحة، أما "مولود معمري" فحافظ نوعا ما على وتيرة منتظمة وإن كانت متباعدة لإنتاج نصوص روائية ومسرحية ولكن مجهوده تركز في تصوير اللغة الأمازيغية وإحياء تراثها وتقوية مكانتها، أما أسيا جبار فقد حاولت أن توازن بين استعمال اللغة الفرنسية وتضيف التراث الشعبي الجزائري في نصوصها الروائية واتجهت إلى توزيع انتاجاتها وحولت الشعر و المسرح و حتى السينما.<sup>1</sup>

يعتبر إتيان الكتاب الجزائريين الذين عايشوا فترة الاحتلال للغة الفرنسية فقط مبررا لقيامهم بإخراج أعمالهم الروائية باستخدام تلك اللغة، فلم يكن أمامهم خيار آخر غير الصمت أو الحديث من خلال من لغة المستعمر. أما الجيل الجديد ممن برزت أسماؤهم بعد الاستقلال فيعتبر ذلك إختيار واعي ومقصود لأنه كان بإمكانهم الكتابة باللغة العربية عوضا من اللغة الفرنسية أو حتى تطوير لغتهم العربية لتواكب البناء الجمالي واللغوي للرواية، ورغم أنهم استمروا في الكتابة بلغة المستعمر إلا أنهم لم يشككوا- ولم يتركوا مجالاً للشك- أن ما يكتبونه أدب جزائري فقد أصبح ذلك من المسلمات.

<sup>1</sup> منور أحمد: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، دار التنوير، المرجع سابق، ص136

أما إستثناء القاعدة، فكان رشيد بوجدره الذي تحول إلى الكتابة باللغة العربية عبر روايته التفكك(1981) ورأى في تحوله إلى الكتابة باللغة العربية أمر طبيعي لا يستدعي أي تفسيراً و تأويل، وجاءت بعدها روايات أخرى باللغة العربية قام بوجدره نفسه بترجمها إلى اللغة الفرنسية لأسباب غير واضحة مثل مرزاق بقطاش.

كان للباحثين باللغة العربية رأيين مختلفين في تصنيف الأدب الجزائري باللغة الفرنسية فمنهم من رأى أنه امتداد للأدب الفرنسي ولا يمت للجزائر بصلة ومنهم من قال أنه أدب جزائري بمعنى الكلمة وليس فيه من الأدب الفرنسي شيء فأصحاب الرأي لأول يمررون موقفهم باللغة التي كتب بها والتي يغيرنا قلة للحضارة والثقافة التي كتب بها والتي يغيرنا قلة للحضارة والثقافة الأوروبية اللاتينية أما أصحاب الرأي الثاني فيأخذون حجتهم من تأثير البيئة الاجتماعية التقليدية على الكتاب وانعكاساتها في نصوصهم وتشكيل لغتهم.<sup>1</sup>

وأول ما يشير الجدل حوله هو قضية الهوية الأدبية التي ظلت تنازعها أقلام وتحركها مذاهب عرقية مختلفة غير أنني أرى أنه من الصعب الاعتماد على مقياس القومية في تحديد هوية بعض الآداب لتعقد مشكلات القومية، بسبب ارتكازها على أسس متباينة في ظل غياب المنهج المضبوط يحدد خصائص وطباع كل أمة ودورها في العملية الأدبية ولأنه إذا كان علينا أن نقر بأن الآداب في لغة واحدة هي آداب قومية متميزة كما هي الحال في الأدب الإنجليزي بينما يعتبر " سميث، بيتش " "وجويس " أنه ليس من السهل أن تحدد النقطة التي يكيف فيها الأدب المكتوب في أمريكا عن كونه أدب المستعمرات الإنجليزية ليغدوا أدبا قوميا مستقلا، ويعد احتواء المقياس القومي على المنهج نموذجي في تحديد جنسية الآداب لم يكن ليفك الإشكالية المطروحة حول الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.<sup>2</sup>

ومن أجل ذلك يبقى الإشكال قائما ويجدر بنا اللجوء إلى بعض الآراء النقدية لبعض الدارسين الجزائريين والأجانب بعض آراء المبدعين الذين يكتبون باللغة الفرنسية.

<sup>1</sup> رينيه ويليك، واستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط2، 1981، ص55

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص56



سنتطرق بادئ ذي بدء لأراء جملة من الدارسين الجزائريين في كونهم أول من أثار قضية الانتماء الوطني للنص المكتوب باللغة الفرنسية وتأسيا على سابق نجد بعضهم يعترف بعروبته هذا الأدب وانتمائه الوطني الجزائري على الرغم مما جعله من ثقافة عربية، ومن تدوين لغوي أجنبي وبعض من تبين في تحديد كونه هذا هوية هذا الأدب، نجد عبد الله الركيبي يقف الموقف نفسه من هذا الأدب - المكتوب باللغة الفرنسية قد وجب لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو إن كتب باللغة الأجنبية فإنه عبّر عن مضمون جزائري وواقع وطني وهذا ما يجعله أدبا محليا وطنيا.<sup>1</sup>

فإذا كان هذا القول متأنيا من أحد الأدباء الجزائريين المدافعين بحماس عن عروبه الجزائر وضرورة الأخذ بعين اعتبار هذه النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية فمن الغرابة بما كان أو يكون الرأي نقيضه صادرا عن دارس يحمل لواء العروبة نفسه مبررا موقفه بضرورة اعتماد هذه النصوص بالحرف ويصرح أحد الدارسين "إن هذا الأدب غريب في نفسه ومنفي عن موطنه الذي كتب فيه ولم يستطيع أن يلعب دورا كبيرا في النهضة الأدب المعاصر بالجزائر فضلا عن أن يلعب دورا خطيرا في إنكاء نار الثورة التي ساعدت الشعب الجزائري في كسر قيود الاستعمار الثقيلة، وبالتالي ينفي انتماءه إلى الهوية الجزائرية<sup>2</sup>

هناك كُتاب و دارسين قد جاروا في رأيهم بالانتساب الوطني لهذا الأدب، الباحث "أبو قاسم سعد الله" في ضرورة التعامل مع النصوص تعاملًا موضوعيًا، وإن الوقوف عند الشخصية العربية أخرى رغبة منّا في الإطلاع ما خلفته هذه التجربة من مواقف الأدب المكتوب باللغة الأجنبية بعامة والأدب الجزائري المكتوب بالحرف الأجنبي خاصة هذا وبناء على تلميحاته الداعية عدم إعفاء الظاهرة اللغوية في تحقيق فعل الانتماء القومي للأدب الجزائري وضرورة أخذ الوسائل اللغوية بعين الاعتبار في تحديد هوية النص الوطنية بوضع ذلك الشعر العربي " عبد المّعطي الحجازي " بوضع الذي يوضح ب " أن

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر ، الجزائر (1925\_1954)، ط 2 ، 1983 ص 6

<sup>2</sup> فريجات عادل ،مرايا الرواية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،(د.ط)سنة 2000،ص.8.

الأدب لا ينتسب للغة التي يكتب بها عندما نقول رواية مكتوبة باللغة الفرنسية هي فرنسية يكتبها جزائري ... مُقدما فيها رؤية للعالم نعم ولكنها فرنسية مثل تماما الشعر العربي نصفه كتبه الفرس ولكنه عربي بلغته ومتى يصبح فرنسيا إلا بعد أن تصبح الفرنسية لغة وطنية المستقبل كما هو واضح بالعربية بالرغم من أن الفرنسية لغة نافذة على اللغة العالمية.

في حين نجد أن " Charles Bonn " الذي عمل على تصنيف هذا الأدب المكتوب باللغة الفرنسية على أنه مُزدوج الهوية لكونه يحمل في الهوية الأوروبية في الوقت ذاته الذي يحمل فيه هويته العربية في الوقت ذاته ولكونه قد تغذى من الثقافات الغربية والعربية في آن واحد أولا نستطيع تحديد الأولى إلا بالثانية غير الحضور الإيديولوجي هو الذي يُحتم عليه تحديد قوميته أو هويته العربية الجزائرية والإشارة إلى اللغة وهذا التحديد لا يمكن أن يكون له أي معنى إلا بحضور العنصر الأجنبي المُتمثل في اللغة والثقافة العربية.<sup>1</sup>

أما " Jean Dejeux " فيُخالف الرأي في كون أن الأدب الجزائري ذا اللسان المغربي لا يخرج عن دائرته برغم من تشبعه بالثقافة ومما يزيد رأيه ثبوتا تصريحه ب " أن الكاتب المغربي باللغة الفرنسية يمثل المغاربة اليوم في ثقافته وتحولاته وتساؤلاته على الرغم من كونه يحمل بصمة في كتاباته " وهناك آراء النقاد الغربيين يتبين أنهم يسندون في مجمل أرائهم على ثنائية الانتماء الوطني لهذه النصوص مؤسسين رؤيتهم حول قضية الانتماء الأوروبي والعربي لنص المكتوب باللغة الأجنبية ويرتد ذلك إلى عدة عوامل من بينها عامل الثقافة الغربية والعربية المعتمدة من قبل الكتاب، وفي صميم هذا المخاض الذي يتخبط فيه الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ولحسم الإشكالية وعلمنا على إدراج آراء بعض المبدعين الجزائريين الذين يكتبون بالقلم الأجنبي كتكملة لما سبق البحث فيه من خلال تتبع تصريحاتها ووجهات نظرهم المميزة لشخصياتهم الإبداعية و تتمثل في " مالك حداد"، "ليلي

<sup>1</sup> Bonn Charles. la situation algérienne et conscience nationale après l'indépendance.

صبار"، "رشيد بوجدره والكاتب ياسين<sup>1</sup>.

إذ نجد "مالك حداد" يُقر بدور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في تصويره وتجسيده للمجتمع الجزائري بوسيلة لغوية أجنبية مما أنتج خطابا هجينا، وهذا حصيلة تفاعل الجسد اللغوي الأجنبي بالروح العربية الجزائرية إلا أن طغيان الروح الوطنية وطغوتها على القالب اللغوي الأجنبي أدى بالنقاد الغربيين إلى رفض الأدب الجزائري وهذا تبعا لقول مالك حداد " إن أكبر النقاد في فرنسا يرون أن أدبهم هو أدب أجنبي يختلف اختلافا كبيرا على الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري، لقد انعكس ذلك الرفض الأخير من قبل نقاد الفرنسيين لذلك الأدب على نفسه الكاتب " مالك حداد " وبالتالي الإحساس والتساؤل حول حقيقة الأدب الجزائري ذو الحرف الأجنبي".

لقد بين الكاتب الجزائري مالك حداد في أكثر من موقف حقيقة الانتماء القومي للأدب الجزائري، والذي لا يرد حسب رأيه إلى عنصر اللغة فحسب ولا مجرد عاطفة نكّنها وتُقدس علاقتها بالموضوع، أو البلد كافيته لتحديد فعل الانتماء وهذا أوفق تصريحه في كون الجنسية الجزائرية ليست إقرارا قانونيا، كما لا توجد لها علاقة بالمشروع ولكن بالتاريخ أما عن الأدباء ذو الأصل الأوروبي، والذين تأثروا بالجنسية الجزائرية فالمستقبل هو المشترك الوحيد<sup>2</sup>.

أما الكاتبة "ليلي صبار" فتذهب إلى كونها تُواجه أدبا إقليميا أو ما يُعرف بالأدب المنبوذ هذا إذا كانت تعني الإقليم، إن انتماء هذا الأدب يكمن حسب الرأي الأخير في جغرافيته وانتماء الأديب يساوي انتماء إبداعاته والاعتراف بالرقعة التي ينتمي إليها، يستلزم الاعتراف بإمكانياته الإبداعية والثقافية، وكل رفض لمكان لمبدع يعني إنكار إبداعاته و عدم الاعتراف بهويته وعندئذ يُولد سؤال هل يمكن للانتماء الأدبي في العامل اللغوي أو في العامل الجغرافي، إلا أن في الأخير يستند إلى اللغة الفرنسية مدعما وفاقه وحبه للغة العربية وأن رغبته في الكتابة باللغة الفرنسية كونها تحقق لها ذاتها وهذا حسب

<sup>1</sup> jean dejeux . la littérature maghrébine de LA langue française. Ed. naaman 1978 . p

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 36

قوله " أريد الكتابة باللغة العربية وأفضل الكتابة بهذا لتأكيد ولكن عمليا أفضل الكتابة باللغة الفرنسية لإنتاجها ونعرف بأننا سنكون ذوي قيمة في نظر الآخر ونظرته لنا لها وزنها بالنسبة إلينا"<sup>1</sup>

طرح قضية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كثير من التساؤلات وأيضا الحواجز النفسية والوجدانية كالجسم المصاب بالحساسية للباس ما لا يُمكنه التعري فيتحول للباس إلى ضرورة لابد منها حتى وإن كان الجسم يُعاني الحساسية شديدة ذلك هذا الموضوع الذي أثاره الدكتور " أحمد منور" من خلال كتابه الذي صدر حديثا والذي يحمل عنوان الأدب الجزائري باللسان الفرنسي وقد احتضنت المكتبة الوطنية فعالية تقديمة" من خلال "يوم الكتاب" قراءة بحرية من خلال ندوة القرآنية الحوارية شخصيات ثقافية من اين تقبض الخيوط و كيف يتم تحريكها وفوز ألوانها وهل هي خيوط متشابهاة في اللون والثقافة أم أنها مجرد خيوط يتم من خلالها تحريك المسرح الثقافي الجزائري في عقوده كانت بداية القراءة في الفصل الثالث من الكتاب من قبل الصحفي حميد عبد القادر الذي أكد أن الأدب المكتوب بالفرنسية هو أدب وطني و يصعب أن يقال عليه غير ذلك.<sup>2</sup>

وفي استعراضه للكتاب ولاختياره لهذا الفصل أنه متعلق بمسألة الهوية الوطنية وبما أن القراءة التي قدمها الصحفي حميد عبد القادر "التي قدمها وتعبّر عن فصل بوجهة نظره هو كيف قرأ الكتاب تبقى بالنسبة لغير المُطلع على الكتاب قراءة كاملة لأنها مسكت العصا من الوسط.<sup>3</sup>

أما الدكتور أحمد منور فقد قدّم كتابه بطريقة مغايرة وهو وضع واقع لا يمكن غض الطرف عنه ولا إلغاءه ولا إنكاره وهو يدافع عن الأدب الجزائري باللسان الفرنسي في أي صنف تصنيفه هل هو جزائري أم فرنسي.

<sup>1</sup> جبور أم الخير، الرواية الجزائرية بالفرنسية، دار ميم للنشر، الجزائر، (ط 1)، سنة 2013، ص 38

<sup>2</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره، المرجع السابق، ص 17.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 18 - 20.

وما نسبة جزائريته وفرنسيته، المدارس التي نبع منها المجتمع العادات والتقاليد، وهل الأدب ينسب إل اللغة التي يكتب بها أم إلى المجتمع الذي تعبر عنه مثلما تراه المدرسة الأمريكية؟

الدكتور أحمد منور أحمد أوعز دوافع إثارة الموضوع لعدة أسباب منها أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يكتب عنه الفرنسيون والمشاركة قاموا بالاهتمام بيه والترجمة إلى اللغة العربية وهذا ما أثار فكرة لماذا لا نهتم نحن الجزائريون بهذا الأدب ولم ندرسه ونكتب عنه باللغة العربية؟ وما هي الأسباب والمشكلات؟ ويعترف "أحمد منور" بوجود الكثير من العتبات والمشاكل التي يُواجهها الباحث والدارس الجزائري لهذا الأدب، وهذا ما جعل منور يقول " كتابي هذا يُعد الأول من تناول هذه الظاهرة باللغة العربية ".<sup>1</sup>

يرى أحمد منور أن كتابه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي لم تكن وليدة الخمسينيات كدلالة أدبية في هذه الفترة، بل هذه الكتابة لها فرسانها منذ العشرينيات من القرن الماضي، فالبداية الأولى حسب منور في تقنية أثر النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية كانت في 1920 على يد كل من عبد القادر حاج حمو رشيد الزناتي، جميلة دباش، شكري جوجة وقال " هؤلاء الكتاب الأوائل لم يهتم بكتاباتهم وهذا ما جعلني أتساءل عن ذلك لماذا لم يهتم الجزائريين بهذه الفترة؟ وهذا ما جعلني أُحاول إبرازها من خلال هذا الكتاب يؤكد منور أن هؤلاء الكتاب ضُلموا وربما بسبب الإجحاف الذي أصابهم إلى القضية التي كانت سائدة آنذاك وهي قضية الاندماج لكن هناك واقع تغيير في الفكر والمواقف مثلما حصل مع فرحات عباس الذي كان مُنظر لهذه الفكرة ثم غير رأيه.<sup>2</sup>

أما بالنسبة للنصوص التي عالجهها أحمد منور في روايته ومسرحياته بلغت 17 نصا روائيا من 1920 - 1962 وهذه النصوص حسب نتيجة الدراسة التي خضعت لها كانت تعبر عن مختلف المراحل هذا فيما يخص أدب ما قبل الاستقلال وما بعده فتغير حسب تغيير الظروف التي كانت سائدة وحتى الأطروحات والإيديولوجيات ومن هنا يرى منور

<sup>1</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان العربي نشأته وتطوره قضاياها، المرجع السابق، ص 20

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 22 - 24

"بدأت أتساءل عن النص هل هو جزائري أم فرنسي؟" ويُصنف جميع الآراء التي تناولها هذا الموضوع ووجد من قال أنه أدب جزائري و الآخر يرفض، ويؤكد منور أنه حسب رأيه اتخذ موقفا وسطا فإن كان شكل الذي كتب بيه النص شكلا فرنسيا فإن روحه جزائرية<sup>1</sup>

يمكن القول أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية هي أدب جزائري في صميمها، والتي نشأت في ظل الاحتلال الفرنسي والهموم الوطنية ومعاناة الشعب الجزائري وقد صورت آمال وطموحات هذا الشعب الذي أراد التخلص من قيود الاستعمار، ولا يُعاب على أصحابه أن إبداعاتهم جاءت باللسان الفرنسي، لأن اللغة هي مجرد وعاء لنقل الأفكار، ولقد أظهر الأدباء من خلال أعمالهم باللغة الفرنسية نُضجا من الناحية الفنية والقومية وإدراك الحس الوطني وترسيخ مآثر الشعب الجزائري عبر هذه الإبداعات.

### المبحث الثاني: الخطاب الروائي و الميلاد المزدوج للأنا و الآخر:

(1) - مفهوم الأنا: تدل كلمة الأنا على الذات ... وهي بالمعنى المباشر تدل على الشخص ... وبجميع لواحقه وأغراضه أما بالمعنى الفلسفي فتدل على جوهر الذات أي ما يبقى عندما تستثني اللواحق والأعراض وبالتالي يتحدد الأنا تبعا لتصور ماهية الذات الإنسانية فنجد أن فلسفة الوعي تحدد الأنا بالوعي مثلما ... يقول ديكرت "النفس التي بها أنا بها ما أنا " أي أن نيته تكمن في النفس والأنا المفكرة.<sup>2</sup>

(2) - مفهوم الآخر: أصبح مفهوم الآخر من أكثر المفاهيم حضورا في الكتابات المعاصرة أي في جل الدراسات النقدية والفكرية والفلسفية، فنجد الآخر يأتي بمعنى "صفة كل ما هو غير الأنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا والأنا إستمولوجية مُلخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعية"، وعلى أساس آخر يتجلى الآخر "الأخر هو أبسط صورة وهو مثل أو نقيض الذات".<sup>3</sup>

### (3) العلاقة بين الأنا والآخر:

<sup>1</sup> أحمد منور، الدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، المرجع السابق ص 20

<sup>2</sup> عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984 ص 421

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 13.

- تنبني ثنائية الأنا و الآخر على المفارقة و الاختلاف الموجود بين الذاتين أو بين الفردين وقد " أجمعت العرب على أن الاختلاف والمخالفة في اللغة تعني أن ينهج كل شخص طريقا مغايراً للآخر وفي حالة أو في قوله، والخلاف أعم في الضد لأنا كل الضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدان وتتسع مقولة الاختلاف والخلاف لتشمل أحيانا المنازعة والجدال والمجادلة وما إلى ذلك ، لكن الاختلاف يبقى سُنّة كونية لا مناص منها ".<sup>1</sup>

فالعلاقة بين " الأنا " و "الأخر" قائمة على الوعي والإدراك لكل منهما فعلى الرغم من وجود الاختلافات العديدة بين الأنا والآخر إلا أنه لا بد الإدراك واحد منهما للآخر " فالفارق سواء كان فارق بين الجنسين أو فارق في السلوك أو الشخصية أو فارقا عرقيا أو ثقافيا يمكن أن يصبح وسطا تنشأ فيه روح عدائية، ولكنه يمكن أيضا أن يكون بيئة لخلق تفاهم وتعاطف متبادلين".<sup>1</sup>

يُشكل حضور الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تيمة رئيسية وإشكالية كان لزاما على الكُتاب مُعالجتها نظرا للظروف والعوامل التي رافقت الوجود الكولونيالي "الأخر" الفرنسي في المجتمع الجزائري كتجويب الشعب الجزائري "الأنا" من أجل القضاء على هويته، مما شكّل عند الكُتاب الروائيين وعيا حاولوا من خلاله نقل الصورة الحقيقية للآخر الفرنسي المُستعمر للمطالبة بقطع العلاقات معه ومع دخول متغيرات جديدة على المجتمع الجزائري تمثلت في الثورة والصدام مع الآخر وجد الكُتاب أنفسهم في حيرة أدت إلى تشكيل أزمة الهوية لديهم جعلتهم مجبرين للانحياز لمبادئ الثورة بحكم الإنتماء القومي من الخروج من دائرة المعاناة المُستعمر وتحقيق أمالهم في الاستقلال والحفاظ على هويتهم الجزائرية و كيف صورة "الأنا" و "الأخر" الفرنسي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وما علاقتها بالظاهرة الكولونيالية وكيف تميزت العلاقة بينهما (الأنا والآخر)، وهل الصدام والصراع مع الآخر شكل للذات الجزائرية أزمة الهوية؟<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد شوقي الزين، الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، دار أمان، الرباط، ط 1 سنة 2012 ص

ينفرد الأدب الجزائري الحديث بين مختلف آداب الشعوب العربية بمجموعة خصائص قلّما تجمع في أدب واحد على مجرى التاريخ، ويُنظر أن يتميز بها أدب قومية واحدة وفي مقدمة هذه السمات التي يتصف بها الأدب لجزائري ذلك التشابك المُعقد بين التيارات الثلاثة جلبتها الظروف التاريخية وهي التيارات البربرية والعربية والفرنسية، رغم أن الزمن تدفق مجراه الذي لا ينقطع، ولم يفصل بين ثقافة والأخر بحاجز ولا سبيل إلى اختراقه وإنما التقت التيارات الثلاث لقاء الصراع والتفاعل والإدماج وأثمرت في النهاية أدبا جزائريا قبل كل شيء قبل أن يكون فرنسيا و إذ نطق بالفرنسية قبل أن يكون عربيا وإن نسخ أحداثه وأشخاص من حياة العرب وعندما توحدت عناصر اللغة والفكر والبيئة والتاريخ والإنسان في صورة شديدة التعقيد والثراء وهي صورة الأدب الجزائري المُعاصر الذي تتخذ منابعه وأصوله وجذوره وهو تيار الثورة الجزائرية العارم فهذه الثورة هي بوتقة التي انصهرت خلالها الروح والتي تظهر وتتبلور بدمائها الفكر وأقبلت الرواية الجزائرية عُداة الحرب العالمية الثانية تحمل في تضاعيفها هذا التاريخ المليء بالصراع وتُشارك أيضا في ترجيح كانه إنسان جزائري وعن نطق بين صفحاتها باللغة الأعداء.<sup>1</sup>

ولقد تعرض أدباء الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية لمسألة العلاقة بين الأنا والآخر حيث شاهدت على ذلك إبداعاتهم التي عكست هذا الصراع بكل أبعاده وصوره تصويرا شاملا إلا أن هذا التصوير اختلف من مرحلة لأخرى حيث يذكر "جان ديجو" يمكننا فيها بين سنة 1920 - 1929، أن نعثر على محاولات قليلة في الكتابة الروائية فقد ظهرت سنة 1925 محاولة " لعبد القادر الحاج حمو " بعنوان " زهرة امرأة عامل المنجم " ورواية "المأمون" بداية المثل الأعلى " لشكري خوجة " صدرت سنة 1928 و رواية " العليج أسير بربروسي " للكاتب نفسه سنة 1929، عالج هؤلاء الكتاب العديد من الإشكاليات التي كانت تطرحها الثقافة والحضارة الليبيرالية ومن أهم تلك الإشكاليات التي كونت الهاجس الرئيسي في تلك الأعمال الأدبية مسألة حرية تعاطي الخمر ولعب القمار وهذه العادات كانت تشكل جزء من حياة اليومية العادية للفرنسيين أدخلوها للجزائر، وصارت

<sup>1</sup> عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط1، سنة1991، ص32



شيئا مباحا لا يعاقب القانون عليه وهذا ما نراه في رواية "زهرة امرأة منجمي" لعبد القادر الحاج حمو.<sup>1</sup>

تُعد هذه الأعمال الروائية للكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية، فقد كان بطلها عامل جزائري يعمل في منجم الفحم في ضواحي مدينة "مليانة" يعيش مع زوجته رغم الفقر الكبير بين أجره وبين ما يتقاضاه أي عامل أوروبي يعمل معه في المنجم وعن خالط المجتمع المدينة وفي مقدمتهم "كريمثشي" حتى أصبح يشرب الخمر حتى تدهورت حالته وأهمل زوجته وترك الصلاة وبعدها دخل السجن بتهمة قتل ولم يقترفها في الحقيقة ولقد اعتبر بعض الكُتّاب الجزائريين في هذه المرحلة أنفسهم مواطنين فرنسيين مُندمجين ببعضهم الآخر الذي قاوم من أجل غايات شخصية يتمسكون بها، وهم على وعي تام بالوضع التي تسودها الالتباسات وسوء التفاهم، أما الروايات في هذه المرحلة فقد كانت ضعيفة فكتابها كانوا ينسخون ويقلدون لأن الأمر بالنسبة لهم كان يعني أن يظهروا بأنهم يستطيعون الكتابة بالفرنسية الجيدة، دون ارتكاب الأخطاء في التركيب والأسلوب بتعبير الأكاديمي.<sup>2</sup>

ومن هنا بدأت الحركة الروائية الجزائرية باللغة الفرنسية تؤسس لنفسها متناً هو مرآة لذاتها لطموح الإنسان في هذا الشمال الإفريقي بعيدا عن المظاهر السلبية للحدثة الغربية، وكان لمنجي الرواية باللغة الفرنسية، خَلَفَ هذه المسافة في ظل هذه المساحة بدأت إعلان عن نص روائي جديد يُبشر بإنسان جديد وعقل جديد قلب موازين بطولة الرواية، فإذا كان الآخر الفرنسي هو مركز في الرواية الكولونيالية والأنا أي الأصلي هو الهامش وفي هذا النص الجديد وُلِدَ إنسان جديد، ومع ميلاد هذه النصوص التي تُعبر عن الإنسان الجديد "الأنا" الذي بدأ يشعُر بوطنيته وقضيته وصارت أدوار بطولة في هذه الأعمال الروائية تُقدم لنا الأنا جزائري بوصفه المركز والآخر مستعمر، وقد ظهرت هذه النصوص تزامنا مع ظهور جيل جديد أمثال "محمد ديب" و"مولود فرعون" الذي انتموا إلى المدرسة الواقعية التي

<sup>1</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته و تطوره و قضاياها، المرجع السابق، ص 265

<sup>2</sup> ، المرجع السابق ص 266 - 268

تهتم بإلقاء الأضواء على مشاكل المجتمع الحقيقية التي يُعاني منها البُسطاء كالتعليم، الفقر، الطموح المُتطلع إلى الأثرياء وكيف يعيشون.<sup>1</sup>

وتجسد ثلاثية "محمد ديب" علاقة الأنا مع الآخر في فترة الاحتلال الكولونيالي الفرنسي للجزائر بالتحديد بين سنتي: 1929 - 1939، حيث صور "محمد ديب" في كل من دار الكبيرة، نول، الحريق، يوميات الجزائريين اللذين أذلهم الآخر الفرنسي وسلب كرامتهم وأراضيهم ليصبحوا جزءا فيها، وقد وصف موضوع الفقر والجوع كموضوع هام وبارز في هذه الثلاثية للتعبير عن الظلم الكبير الذي عاناه الشعب الجزائري من طرف السلطات الفرنسية.

وبالإضافة إلى شخصية "عمر" صور "محمد ديب" شخصيات الثانوية أمثال شيراك المدعو "ديدوا بوراشو" و"أحمد دزيري" والد "عمر" مصطفى رزاق، والد زياش وزياش نفسه في صورة الإنسان الذي عانى من الفقر واتخذ الإدمان على شرب الخمر كحل الوحيد للهروب من الواقع الأليم، والملاحظ أن شخصيات سواء كانت ثانوية أو رئيسية فهي تحاول نقل صورة الأنا الجزائري المضطهد في مقابل الآخر لتأكيد هيمنته وقوته من خلال فرضه لإجراء تعسفية ضد الشعب الجزائري.<sup>2</sup>

وبناء على ما تقدم يمكن القول إن الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية وقد قدمت لنا صورة الجزائري المحروم من كل حقوقه وصورة الآخر الفرنسي الدموي كما نقلت لنا تمسك الشعب الجزائري بهويته ووطنه من خلال استعماله لرموز تؤكد ذلك حيث ضلت الثورة تمثل هاجسا يؤرق الأدباء الجزائريين فالمنتبع للمتن الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يرى حضورا للثورة باعتبارها نقطة تحول في صيرورة التجربة الروائية، ووعاء يحوي القضية الجزائرية بكل أبعادها أي أن التاريخ في التعامل مع الثورة لم يكن هناك استغلال إبداعي لثورة بإعادتها أن الرواية عمل تخيلي يوهم بالواقع ولا يعكسه وإن

<sup>1</sup> ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، دار العربية للعلوم، بيروت، (ط 1)، 2010 ص 15

<sup>2</sup> سامي الدروبي، ترجمة من مقدمة ثلاثية محمد ديب، (الدار الكبيرة، الحريق، النول) الوحدة للطباعة والنشر، بيروت،

لبنان ( د.ط) الجزائر 1985 ص 120

كان يتجاوزه ويتمثل التجاوز على مستوى الصياغة وبناء الشخصية ورسم الحدث وإقامة علاقات قائمة أساسا على عمليات تعيين القيم التي ينطلق منها السارد.<sup>1</sup>

وبهذا فإن الرواية هي صورة متخيلة قبل أن تكون واقعية تستند طبيعتها من الواقع وذلك أن الخيال يسبق الواقع..

لقد شكلت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان الفرنسي طفرة نوعية في المضامين خاصة أثناء الثورة وبعدها أخذت على عاتقها تصوير كل الأشكال الثورة (الاحتجاج، العمليات العسكرية...) كما سلطت الضوء على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي و أبرز الكتاب اللذين تنبؤوا بحدوث ثورة مع دخول كُتاب جُدد في الخط نفسه وأبرزهم (محمد ديب، مولود معمري، الكاتب ياسين، مالك حداد، أسيا جبار).<sup>2</sup>

وفي تناولنا لموضوع الثورة كمرجع تاريخي يؤطر علاقة "الأنا" و"الأخر" في الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لابد أن نتحدث عن مدى سوء العلاقة بين "الأنا" و"الجزائري" و"الأخر" الفرنسي وحدة الصراع القائم بينهما، الأمر الذي يجعل الروايات التي تطرقت للعلاقة بين الأنا الجزائري والأخر الفرنسي المُستعمر، وهي إشكالية التي سنوضحها ونحاول الكشف عن مدى تعبير هاته الروايات عن أحداث الثورة الجزائرية وواقعها إذ نجد مالك حداد في روايته "الانطباع الأخير" التي أصدرها سنة 1958 أولى الأعمال المتعلقة بالثورة المسلحة صور فيها أجواء الحرب في مدينة الجسور المعلقة وما يجري فيها من ممارسات كانت تتعامل بها قوة الشرطة والجيش الفرنسي مع الجزائريين وهو يوظف مدينة قسنطينة مسرحا رئيسيا لأحداث روايته.<sup>3</sup>

ليعبر من جهة عن جو الحرب الذي أصبح يطبع حياة المدينة ويؤثر على هدونها وجمالها الطبيعي ويعتبر من جهة أخرى عن القطيعة الكاملة والنهائية التي أحدثتها الثورة مع النظام الاستعماري الذي برهن طول تاريخه أن لا فائدة تُرجى من إبقاء الجسور معه وفي الرواية الثانية "رصيف الأزهار لا يجيب" 1961 التي جاءت مُحملة

<sup>1</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياها ، المرجع السابق ،ص 222

<sup>2</sup> محمد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بالعكنون، الجزائر 2006 ص 495

<sup>3</sup> مالك حداد، الانطباع الأخير، دار العربية للعلوم، ناشرون، (ط 1)، سنة 1958، ص 23

بالذكريات وأوجاعها انطلاقاً من مربع الذكريات (قسنطينة) مسقط رأسه هوام ومدفن أحلامه وأماله معا هذه المدينة التي مارست ضغطها على الشارع الرصيف الباريسي لم يعد يجيب.

يرسم مالك حداد " جو قسنطينة الخريفي منه بدأ فتُضرم مشاعر الطالب خالد طوبال بمختلف الأحاسيس منها أحداث الربيع الدامي برصاص الاستعمار الفرنسي (8 ماي 1945) وفي هذه الرواية يلتحم هم الشخصية بالهموم الوطنية والإنسانية حيث تنصهر مشاعر الخبث والخيانة و الوفاء من بوتقة واحدة لتشكل صدى لمُعاناة الحس الوطني على جبهات اختلفت توجهاتها لكنها التهبت نيرانها جميعا روح خالد طبال، الذي ليس سوى مالك حداد نفسه في انكساراته وأشواقه للواقعية الشفافة في التجربة الروائية ذات مضمون وطني إنساني.<sup>1</sup>

بالإضافة على شخصية البطل في روايته "سعيد" على مدار السرد شخصية "ما مسعودة" التي كانت تكره كل فرنسي، وما يؤكد أنها كانت مساندة للقضية الجزائرية ويتجسد من خلال قولها لسعيد:

يا بني لا تتزوج فرنسية أبدا

كذلك قولها " لايدير " عم سعيد تسأله فيها عن زوجته الفرنسية.

خنزتك، أين هي ؟

الخنزة سرقت ابني، صرحت بوقار<sup>2</sup>

كانت هذه المقاطع تدل على أن جدة " سعيد " لم تقبل بوجود الآخر الفرنسي لأنها جزائريتها بأصولها وبوطنها بعاداتها وتقاليدها، لذلك كان لابد عليها أن ترفض زواج سعيد "بأجنبية لأن هذه لا تُمثل وطنها كما نجد أيضا تصف زوجة إيدير بالخانزة والإمراة القذرة ويدل ذلك على أن ما مسعودة من شدة كرهها للفرنسيين كانت تنعتهم بأوصاف قبيحة يتبين من خلالها حقدتها لكل ما هو فرنسي وافتخارها بكل ما هو جزائري، كما تعبر أيضا لالة وردية العجوز المسنة عن ذلك أيضا حيث أخبرها "سعيد" عن أولادها فأجابتهم بأنهم في

<sup>1</sup> مالك حداد، الإنطباع الأخير، المرجع السابق ص 27 - 47

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 117

الجبل ودققت كلهم كلهم في الجبل، قالت هذه الكلمات بعزة نفسها كما لو أنها قالت ذهبوا إلى الحج، لالة وردية من خلال تعبيرها هذا تؤكد أن وطنها غالي ولا بد أن تُضحى من أجله لذلك كانت فخورة بأولادها، ولم تجدي أي إحراج حين سألتها عن أولادها بل العكس من ذلك زاده ذلك عزة وفخر.<sup>1</sup>

أمّا شخصية " بوزيد " عبّرت هي أيضا عن حُبها لوطنها بل ذهبت إلى أبعد من ذلك إذ نجد البطل "سعيد" وهو يصف أخاه وهو يقول: "يحيا العرب"، بوزيد الذي يردد باستمرار في نهاية الأمر، "يحيا العرب" ... فالاعتزاز و الفخر طبع في الإنسان بالأخص العربي " فالعربي نزوع فطرته إلى العلاء ميّال إلى التعالي والمباهاة شديد الإندفاق بما في نفسه من نزاعات والتغني بما فيها من حسنات " ومن خلال هذا يبين بوزيد تضحيته من أجل رفع راية العرب عاليا.

إن الاضطهاد والخوف الذي سببه الأخر الفرنسي والأنا الجزائري جعل الأسر الجزائرية تعيش حالة مستمرة من التوتر والترقب" ... وبسرعة راح صرير صعب التميّز يُقرض لصق النافذة صمت العائلة المتوتر القلق".

يرسم لنا هذا المقطع مشهد عائلة البطل، وهم في البيت في وقت متأخر من الليل حيث كانت الدوريات الفرنسية تجوب الشوارع في تلك الأثناء ففاجئهم صرير صعب التميّز عمل على إقرار حالة من الخوف الشديد مما سيحمله ذلك الصوت، ويدل ذلك على عدوانية الأخر المُستعمر الفرنسي الذي كان يُخرب ويقتل كل ما هو جزائري، فحتى صوتهم كان يُمثل للجزائريين خطرا لا يقل عن خطر مواجهتهم.<sup>2</sup>

وبالرغم من هذا الاضطهاد، نقل لنا الكاتبة صورة عن الأنا المكافحة الراضة للخضوع لسلطة الخوف " الأنا " تحمل عزيمة وإصرار على أخذ حريتها حيث نلحظ العديد من الشخصيات يبدوا تفاؤلهم من هذه الثورة ونلمس ذلك في حديث "علي" و"سعيد" حول موضوع الجسر "على كل حال، يجب أن يُخرب"، يصر علي على تحطيم الجسر الذي بناه سعيد فلا بد للجسر السقوط من أجل مصلحة الوطن ومن أجل الاستقلال، ومن ثمة نجده

<sup>1</sup> مالك حداد، الإنطباع الأخير، المرجع السابق، ص 122

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 125.

ينفءل بالحرية التي من خلالها نستطيع بناء الجسر أفر فالحرية والاستقلال هي كلمات كل نأئر ستنتهي الحرب وسيحمل الأطفال البيض المُلطخ بالألوان في شوارع قسنطينة وفي شوارع أخرى و ستنقى الأفراد مشتغلة إلى ساعة متأخرة في الليل.<sup>1</sup>

وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن شخصيات "الأنا" التي وصفها "مالك حداد" نقلت لنا صورة الأنا الجزائري، أدرك في نهاية المطاف ضرورة التصدي "للأخر" الفرنسي المُستعمر واسترجاع الهوية الوطنية ومثلت ذلك شخصية "سعيد" في حين نقلت بعض الشخصيات الثورية مثل "ما مسعودة" و "علي" صورة عن الأنا واعية بحدود علاقتها مع الأخر مختلف عنها في كل شيء مُطالبة بضرورة قطع أي صلة بيه وضرورة إخراجها من أرضها والحفاظ على هويتها العربية والإسلامية والتخلص من واقع الذي يعيشه بسبب استبداد الأخر الفرنسي المُستعمر.

لقد نقلت لنا شخصيات "مالك حداد" ضمن نصه الروائي " الانطباع الأخير " وقائع الثورة ورؤية الكاتب نفسه وموقفه المتفءل بنهاية الحرب ونيل الاستقلال الذي سيمكن الجزائري من العيش بحرية في أرضه فقد شبّه الاحتلال الفرنسي " بالكهف المظلم " الذي لا بد من الخروج منه سواء بالحياة أو الموت، وعبرت شخصية البطل سعيد على قدرة الجزائريين والثوار على نيل الحرية برغم قلة الإمكانيات والعتاد العسكري فإيمانهم بقضيتهم كفيل بتحقيق النصر ستحكي عنه الأجيال اللاحقة لسنوات وسنوات حققه الرجال " ليس لهم الدبابات وليس لهم طائرات يستلزم لأيديهم النديه للورد ويستلزم لعيونهم نظرات الطفل لأجلك يا حرية لأجلك لا تنسى " وما يمكن استنتاجه أن رواية " الانطباع الأخير " قد نقلت لنا صورة عن " الأنا " المضطهد من قبل " الأخر " ولكن هذا الاضطهاد بالرغم ما جعله من مشاعر الحيرة والقلق إلا أن ذلك لم يمنحها من المقاومة والاعتزاز بهويتها والتفاؤل بمستقبل أحسن لا بد أن يصنعه ثوار اليوم، القادريين على مواجهة كل التحديات وتحقيق النصر.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مالك حداد، الإنطباع الأخير، المرجع السابق، ص 131

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 132- 133

هكذا وُجد الأدباء الجزائريون أنفسهم في مواجهة لغة الأجنبي (المستعمر) فكانت سبيلهم لمحادثة الطرف الآخر خاصة في ظل القيود التي فرضها المستعمر على اللغة العربية بصفتها لغة الجزائر الأم، ولأن اللغة تُشكل جزءاً مهماً من هوية الأمة فقد استعملت فرنسا الأساليب للقضاء على العربية وبالتالي طمس معالم الهوية الجزائرية التي رفضها الشعب الجزائري عامة والمثقف الجزائري خاصة جملة وتفصيلاً.

لقد أثارت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بوصفها ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة جدالاً ونقاشاً كبيراً بين النقاد والدارسين اللذين اختلفوا حول هوية الأدب منه من عده عربياً استناداً إلى مضمونه وأفكاره انطلاقاً من اللغة التي كتب بها وذلك أساساً أن اللغة تعد الوسيلة الوحيدة التي تحدد هوية الأدب بالإضافة إلى أن هذا الازدواج في الكتابة الروائية أسهم بشكل كبير في تطور الأدب الفرنسي أكثر مما أضاف إلى الأدب العربي ولعل أهم ما يُميز الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية يعود إلى عدة عوامل تاريخية كون أن الكتاب يكتبون بالفرنسية استفادوا من تراكم الإرث الذي سجلته الرواية الفرنسية علماً أن الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية بدأت منذ بداية العشرينيات أما في الخمسينيات فعرفت تطور كبير الذي كتب جيل جديد من الشباب أمثال: الكاتب ياسين، محمد ديب، مالك حداد، مولود معمري، مولود فرعون، رشيد بوجدر، أسيا جبار التي رُشحت لنيل جائزة نوبل وكان هناك جيل جديد من الكتاب الجزائريين مثل: بوعلام صلصال، ميسا باي، سليم باشا، أنور عبد المالك ويرهم كثير.<sup>1</sup>

شكّلت الرواية باللغة الفرنسية محورا مهماً في الأدب الجزائري، إنها لغة المستعمر الذي استوطن الجزائر وسعى إلى محو وجودها، ورغم الكم الهائل من الأعمال المكتوبة بالفرنسية، فإننا نقف أمام مشاعر أولئك الكتاب و آرائهم المختلفة حول الكتابة باللغة ليست لغتهم منهم من شعر بالنقص اتجاه لغة المستعمر ك (مالك حداد) الذي يقول "لقد أراد الاستعمار أن يكون عند هذا النقص لا أستطيع أن أعبر بلغتي" فهو يحص بالعجز والغربة ويتألم أراد أن يعبر عن أفكاره وآمال ومشاعر جزائرية باللغة الفرنسية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية، المرجع السابق ص 75.

<sup>2</sup> سامي الدروبي، ترجمة من مقدمة ثلاثية محمد ديب، المرجع السابق ص 132.

أما محمد ديب يؤكد أن الكتابة بالفرنسية سلاح تعبير عن الألام الشعب وليست انتماء للثقافة الفرنسية والأدب الفرنسي فيقول: "إن كل قوة خلق وإبداع لكتابنا وفنانينا بوقوفها في خدمة إخوانهم المظلومين تجعل من الثقافة سلاح من أسلحة المعركة و لأسباب عديدة فإنني ككاتب كان همي الأول هو ضم الصوت إلى صوت المجموع".<sup>1</sup>

قد تعتبر اللغة الوسيلة الأساسية التي تعكس روح الشعب والحضارة التي ينتمي إليها الفرد والأمة، وهي بهذا تمثل جزء من التفكير لا وسيلة للتعبير عنه فحسب هذه الإشكالية في النظر إلى علاقة اللغة بالفكر وبما تعكسه من روح ثقافية تثار كلما تمثلنا حقيقة هذا الازدواج وما تركه كتابنا، مُخلفا سؤال عميق لم يغادر كتابات النقاد ومشتغلين بالأدب وما طبيعة الازدواج؟ ومتى تنفي الحدود بين ما هو لغوي فقط وبين ما هو ثقافي مُتعالى على اللغة ويُنتج رشيد بوجدره نصوصه الإبداعية، إن الجيل الأول من الكتاب الجزائريين الذين سبقوا بوجدره قد اضطروا إلى التعبير بلغة الأخر البغيض إلى أنفسهم وكان سببا لذيوع صيتهم إلا أنها مع ذلك حملتهم تبعات تكوينهم وتثقيفهم بثقافة أجنبية وربما لا يحس بهذا الانفصام من تعلم اللغة الأجنبية وهم لا يملكون لغة قومية ذات تاريخ و حضارة عريقة أما الأدباء الجزائريون كانوا ينتمون إلى حضارة وثقافة عبّرت عنها لغة حية، فقد أحسوا بهذا وعبروا عنه في مناسبات مختلفة من المأساة التي تتمثل في أن هناك ارتباط بين مشاعرهم وأفكارهم وأحلامهم العربية لأنها تعكس هذه المشاعر والأفكار والأحكام عكسا صادقا.

ولعل الموقف الذي يجعل من المأساة المعبر عنها مجرد تيمة جديدة تطرح كتابيا وتخيليا لا واقعيًا، وهو ما دافع كتابا آخر مثل واسيني الأعرج يخالف عبد المالك مرتاض مشيدا بجهود الكاتب رشيد بوجدره كونه عاش الازدواجية اللغوية وتمثلها في كتابات أكثر من غيره رغم كتابته بلغة المستعمر فقط حضي بوجدره بتكوين مزدوج<sup>2</sup>، وعلى الرغم من كتابة رواية " ألف عام وعام من الحنين" باللغة الفرنسية فإنها مليئة بالتدخلات والتناصتات وهي تحكي عن أجواء عربية يُحاول فيها بوجدره الغوض في التاريخ العربي الإسلامي بكل إيجابياته وسلبياته لا بعاطفة جوفاء، ولكن بوعي ودراية التاريخ العربي الإسلامي.

<sup>1</sup> سامي الدروبي - ترجمة من مقدمة الثلاثية - المرجع السابق ص 134 - 136

<sup>2</sup> واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق ص 63



## المبحث الثالث: أزمة الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية:

سنحاول من خلال هذا المبحث أن نناقش أهم مشكلة من المشكلات التي لا طالما ميّزت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بصفة اعتبارها أهم جنس أدبي اتخذه الجزائريون وسيلة للتعبير عن آرائهم وأحاسيسهم ويمكن أن نعتبر أساسا المشكلة المتعلقة بانتمائية هذه الرواية إلى الرواية الجزائرية أم الفرنسية؟

تضاربت الآراء حول هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وبالأخص الرواية فالبعض اعتبرها أدبا فرنسيا والبعض الآخر اعتبرها رواية عربية جزائرية وموقف آخر جعلها رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية، وإن مسألة اللغة التي كتبت بها الرواية الجزائرية هي التي أوهمت البعض أن هذه الرواية هي فرنسية وهذا ما أوقع الخلط بين الروائيين الجزائريين ونظرتهم إلى الأوروبيين مواليد الجزائر، لكن الفرق يبقى شائعا بين فئتين " فاستعمال لغة مشتركة و هي الفرنسية لم يوجد وحده تماثلا بين الكتاب الجزائريين وكتاب فرنسيين ولا يكمن هذا الاختلاف في الأساس أو الخلفية التعليمية التي تُعبّر مماثلة غالبا بالنسبة لكلا الفئتين، بل يرجع لعوامل جغرافية واجتماعية تاريخية تخضع بها كل منهما فالجزائريين هم ثمرة مباشرة لأراضيهم في حين أن الفئة الأخرى متعلقة بالأرض فقط<sup>1</sup>

لذلك كان لزاما علينا أن نقصر عبارة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على ذلك الأدب الذي كُتب من طرف أدباء جزائريين يحمل في أعماقه هموم الأمة الجزائرية، أما ما كتبه الفئة الأخرى فهو رواية فرنسية كُتبت في الجزائر يُعبّر عن العقلية الكولونيالية فلم يكن أدبا يعبر عن الطبقات الكادحة ولا معنيا بالهموم وآلام ذلك الشعب المسكين لأنهم وبكل بساطة لم يذوقوا ما ذاقه الشعب الجزائري ومن هنا فإن الفرق يتمثل في الرؤية فرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف تماما عن رؤية الكتاب الجزائريين ذوي اللسان الفرنسي<sup>2</sup>.

ومن جهة أخرى نجد الجيل الأول من الروائيين الذين كتبوا بالفرنسية وناصروا فكرة الإدماج والتعايش مع المستعمر إنما كانت نتيجة حتمية للظروف التاريخية صعبة فقد عاشوا

<sup>1</sup> عايدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، المرجع السابق ص 35

<sup>2</sup> عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، المرجع السابق ص 211

في ظل الاستعمار، وتعلموا في مدارسهم وكان إتقانهم للغة العربية شبه منعدم مما حرّمهم فرصة الإطلاع على التراث العربي والإسلامي للجزائر.

"وهو الأمر الذي دفعهم إلى التّغني بأفضل فرنسا المادية والمعنوية فالمثقف الجزائري على حدّ تعبير " شكري خوجة " منهم بالموالاة لفرنسا ما دام قد استعمل اللغة الفرنسية في نظره هي جريمة التي تُبقي مستعمليها مُتهمين في نظر مواطنيهم".

لكن سرعان ما إن قلبت الموازين وكشفت مخططات فرنسا التي كانت تهدف إلى احتواء الجزائر ككل، فرنسا التي كانت متخفية وراء ستار إصلاح الشعوب وتطويرها إلى أن سياستها في الجزائر هي التي فضحت المستور فبدأ أدباء الجيل الثاني والثالث في الكتابة بطريقة مختلفة عن التي كتب بها أدباء الجيل الأول.<sup>1</sup>

لا يمكن أن ننكر حقيقة تأثر هؤلاء الكتاب بالأدب الكولونيالي وتشبعهم بالثقافة وفي المقابل لا نستطيع تجاهل الأوضاع الاجتماعية المتردية في الجزائر ونسبة الأمية المرتفعة فإذا عدنا بالإدراج إلى مرحلة النشأة لوجدنا " أن مسألة اللغة المكتوبة لم تكن تهتم كثيرا في مجتمع، وقد أحدثت هذه الظاهرة ما يسمى " بالمأساة اللغوية للمستعمر فالأديب لم يكتب باللغة الفرنسية حبا في فرنسا أو تمجيذا لها وإنما لاعتبارها الوسيلة الوحيدة التي توصل صوت الشعب إلى الرأي العام والسلاح الوحيد الذي بإمكانه الوقوف في وج مخططات الاستعمار، وان يكتب الجزائري بلغة أخرى وأي لغة الاستعمار ظالم حول بلاده إلى جحيم ليس بالأمر الهين لقد صرح مالك حداد بكل مرارة وأسى " لا أرطم ولا أتكلم إن في لغتي لكنه إنني معقود اللسان أنا الذي أكتب بالفرنسية ... يجب أن تفهمني إذ ما كانت لغتي تثيرك لقد أراد الاستعمار ذلك. "<sup>2</sup> فالظروف هي التي جعلت أمثال مالك حداد وغيرهم الكثير إلى استعارة اللسان الفرنسي وفرنسا أدري بذلك أكثر من غيرها، فقد أرادت فرنسا إجبار هؤلاء التخلي عن اللغة العربية عندما اكتشفت أنها نقطة الضعف عندهم وبعدها علّمت ما تعنيه اللغة وما ترمز إليه لكن ما كتبه أدباؤنا كان ردا ذكيا على فرنسا وألّا عيبها، كتبوا أدبا باللغة الفرنسية صحيح لكن كتبوه بروح وطنية عالية بعدما أصبحت تُصور الواقع الجزائري بكل

<sup>1</sup> جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، المرجع السابق، ص 38

<sup>2</sup> سعاد محمد حضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ن)، سنة 1967، ص 88

مظاهره وتكفيها في ذلك " ثلاثية ديب " التي كانت نبوة صادقة على الثورة على الرغم أنها كتبت بغير اللغة العربية.

فالاستعمار الفرنسي تعامل مع اللغة العربية على أنها تراث وهكذا أوجد الأدباء أنفسهم أمام خيار وحيد وهو الكتابة باللغة الفرنسية وهذا لا يعني عدم معرفتهم باللغة العربية بل إن ازدواجية اللغة قد شكلت هاجسا خطيرا عند البعض لذا لديهم الإحساس العجز والنقص وعلى غرار " مالك حداد " نجد أيضا " الكاتب ياسين الذي شرح إحساسه من هذا الوضع بأن " موقف الكاتب الجزائري الذي يُعبر بالفرنسية هو انه بين خطين من النيران يُجبر أنه أن يبدع أو يرتحل " فالأديب الجزائري لم يعد قادرا على إرضاء أي من الطرفين لكن هناك من أخذ الازدواجية نقطة إيجابية لصالح الدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فكانت مصدر قوته على عكس من أخذها بوقفة ضعف معتبرا أنه عندما تندمج الروح الشرقية للجزائر مع الثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة أدبا أصيلا فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميزه ويختلف عن الأقطار العربية، حيث لم يكن للاستعمار تأثير مُشابه على التعليم والثقافة فالأدب الجزائري امتاز عن غيره من الآداب العربية الأخرى بميزة منفردة تتمثل في الخصائص المركبة لهذا الأدب والصادرة عن ظروف تاريخية لا مناص منها وهي انصهار العنصر المحلي والعربي والفرنسي لانصهاره لغويا وحضاريا أثمر في النهاية أدبا جزائريا قبل أن يكون فرنسيا.<sup>1</sup>

ويبدووا واضحا أن الواقع الثقافي وتطوره كان خاضعا للواقع السياسي الذي عاشته الجزائر و من ثم فقد حمل هذا الأدب الجزائري على عاتقه كل التناقضات الحركة الوطنية، الأمر الذي شعب اتجاهاته الفكرية والإيديولوجية، وأدواته التعبيرية بحيث استعملت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية كسلاح وُجه كتاب مناضلون إلى صدر الاستعمار وهذه الحالة ربما انفردت بها الجزائر عن غيرها من الأقطار العربية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> كفاقي محمد عبد السلام، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، بيروت، دار النهضة العربية (ط 1) سنة 1982، ص 25

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي في الجزائر (1925- 1945)، الجزائر ط 2، 1983 ص 26

فالمسألة إذن ليست مسألة إعجاب وانبهار بحضارة الغرب كما يتوهم الكثيرون إنما قضية ظروف تاريخية كانت أكثر من مجرد رغبة في الكتابة باللغة الفرنسية، كما أن اللغة ليست ملك أحدهما يقول " مراد بوربون ": " إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاص للفرنسيين وليس سبيلها الملكية الخاصة، بل إنها تكون ملكا لمن يُسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي أو يُعبر بها عن حقيقة ذاته القومية " فليست اللغة هي الفاصل الوحيد في تحديد انتمائية الأدب فما دام الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدبا يُعبر عن هموم وطنية و قومية وإنسانية برؤية تقدمية بعيدة كل البعد عن روح الكولونيالية يظل إذا هذا الأدب جزائريا وإذ نطق بالفرنسية أدبا يتمتع بروح جزائرية أصيلة.

إن الخوض في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أزمة يعترئها الغموض والتباس لم يقتصر على مستوى أدب شمال إفريقيا فحسب بل تعداه إلى بعض الآداب الأوروبية وهنا يجد الباحث نفسه أمام سؤال إلى أي مدى تصح جنسية هذه الآداب؟ هذا في حين إذا استقرنا الآداب المقارنة ألفيناه مدارس متعددة فرنسية وأمريكية وسلافية وألمانية الاختلاف قائم فيما بينها على مستوى التعريف والمنهج إذا نحن التفتنا إلى المدرسة الفرنسية وجدنا أنها تركز على اللغة كعنصر محدد لهوية النص وبالتالي يشترط حتى تصبح المقارنة أن يختلف النصان لغة كما تراعي في الوقت ذات الصلة التاريخية وجود تحقيقها و التي لا تقوم إلا بإثباتها قصد الكشف عن مناطق تأثير والتأثر<sup>1</sup>.

أما فيما يخص المدرسة الفرنسية التي سنحاول اعتمادها في كونها تحقق للدرس المقارن خصوصية منهجية، فالإشكال قائم حول قضية اللغة ودورها في تحديد جنسية المكتوب قبل طرح أزمة جنسية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وقبل الخوض في الموضوع يجدر بنا الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى الازدواجية اللغوية في الجزائر وتمثلت في عدة عوامل خلفت بالدرجة الأولى المرحلة الإستدمارية التي حاولت طمس الشخصية الوطنية عن طريق محاربة اللغة العربية، وكل هذه العوامل وغيرها أسهمت في خلق ازدواجية لغوية وتنميتها مما أوجد جيلا من الكتاب الجزائريين يكتبون باللسان الفرنسي والقلم الأجنبي بضرورة اعدم انتباههم لهذه الظاهرة بسبب سيادة اللغة الفرنسية،

<sup>1</sup> المرجع السابق ص28.

مما أدى بأحد الباحثين إلى قول " وقد ظل هؤلاء الكتاب في معظمهم معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية، بوجه خاص و الحضارة الغربية بوجه عام إذ لم يدركوا شيئاً من ذلك وهم محرومون من الإلمام الكافي بلغتهم التي بواسطتها يطلعون على التراث العربي كنوز حضارته الغنية لمعطيته الإنسانية خالياً من الشرور والشوائب.<sup>1</sup>

وتأسيساً على ما سبق نجد بعضهم من يعترف بعروبة هذا الأدب وانتمائه الوطني الجزائري على الرغم مما يحمله من ثقافة غربية ومن تدوين لغوي أجنبي وبعض من تبنى في تحديد في كون هذا هوية الأدب ولقد رأى الناقد الفرنسي كلود ماني أن الأدب يعش عصر القصة الأمريكية باعتبار أن الظروف التي أفرزها أدب قومي - الذي كان محل اعتراف هي الظروف نفسها التي مر بها أدب شمال إفريقيا المكتوب باللغة الفرنسية كما أنه يحمل الشخصية والروح الوطنيين في الدفاع عن هؤلاء الكتاب على ماضٍ وتقاليد جزائرية خاصة.

ونجد عبد الله الركيبي يقف الموقف نفسه من هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وقد أوجه لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو أن كتب بلغة أجنبية فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدباً محلياً و وطنياً.<sup>2</sup>

لعل ما يلاحظ على هذه الآراء هو الاختلاف حول ظاهرة الانتماء أو بالأحرى التباين في تحديد النظري للمقياس الموضوعي الذي نستطيع على أساسه كسر الحواجز بين الدارسين وإسقاطه لإزاحة الضبابية التي تشوب الإشكالية الأخيرة وبتالي فك العزلة عن النص المكتوب باللغة الفرنسية، وإذا كانت آراء بعض الدارسين السابقين اتسمت بالتوفيقية إلى حد غير بعيد فإن بعضهم يكاد يميل إلى آراء بعض العرب في نظرهم إلى هذه الروايات الجزائرية في قولهم أنها روايات عربية مترجمة إلى الفرنسية لأنها كانت تحمل بصدق آلام هذا الشعب فمن العيب ضرب هذه الإنجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر خارج حدود المحلية، إذ نجد "مالك حداد" يقر بدور الأدب الجزائري المكتوب بالحرف الأجنبي في تصوره وتجسيده للمجتمع الجزائري بوسيلة لغوية أجنبية، مما أنتج

<sup>1</sup> واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص77

<sup>2</sup> عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، المرجع السابق، ص243

خطابا هجينا وهذا لتفاعل الجسد اللغوي الأجنبي بالروح العربية الجزائرية إلا أن طغيان الروح الوطنية وطفوتها على القلب اللغوي الأجنبي أدى بالنقاد الفرنسيين إلى رفض الأدب الجزائري وأصبح إشكالية لغوية وهذا تبعا لقول "مالك حداد" على نحو " إن أكبر النقاد في فرنسا يرون أن أدبكم هو أدب أجنبي يختلف اختلافا كبيرا عن الأدب الفرنسي أو بالأحرى يستعملون الصيغة التالية: "فرنسي ذو تعبير جزائري"

لقد انعكس ذلك الرفض الأخير من قبل النقاد الفرنسيين لذلك الأدب على نفسية الكاتب "مالك حداد" وبالتالي الإحساس بالتساؤل حول هوية الأدب الجزائري وإلى أي مدى يساهم العامل اللغوي في تحديد جنسية الأدب الجزائري ذو الحرف الأجنبي، وهذا إلى جانب خضوع الواقع الثقافي للواقع السياسي وتطوره في ظروف مأساوية أدت حتما إلى تناقضات اجتماعية وفكرية أفرزت هي الأخرى بدورها أدوات تعبيرية أجنبية، إضافة إلى ذلك تأخر الثقافة العربية في الجزائر أوجد تخلفا في اللغة العربية، مما أوجد فجوة كبيرة في الحصول على اللغة العربية في الحصول على أسلوب لغوي روائي مرن في الأدب الجزائري عامة والقصي خاصة، فكان البديهي أن يلجأ الكاتب الجزائري إلى استخدام الأداة الأجنبية لملء الفراغ فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسبيا.

غير أنه و في خضم تنامي الروح الوطنية وتطورها تولد حقا ضد كل ما يمت إلى الاستعمار بصلة فكان الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في موقف الاتهام فنظر إليه نظرة رفض إنكار وهذا على الرغم من تغييره عن واقع وطني جزائري كما هو الحال بالنسبة لرواية " رصيف الأزهار لا يجيب " لمالك حداد و" نوم العدل " لمولود معمري وقد يقودنا هذا الإنكار و الرفض إلى السؤال سنحاول الإجابة عنه وهو إلى أي حد يمكن للعامل اللغوي أن يتحكم في هوية النص الأدبي بعامة والجزائري المكتوب بالفرنسية بخاصة.<sup>1</sup>

إن أول ما يثيره هذا التساؤل هو قضية الهوية الأدبية التي ظلت تتنازعها أقلام وتحركها مذاهب عرقية مختلفة غير إنني أرى أنه من الصعب الاعتماد على مقياس القومية

<sup>1</sup> عبد الله الركبي، قصة الجزائرية القصيرة ، المرجع السابق، ص 245

في تحديد هوية بعض الآداب لتعقد مشكلات قومية بسبب ارتكازها على أسس متباينة في ظل غياب منهج مضبوط يحدد خصائص وطباع كل أمة ودورها في العملية الأدبية.

لعل عدم احتواء المقياس القومي على منهج نموذجي في تحديد جنسية الآداب لم يكن ليفك الإشكالية المطروحة حول الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية؟ ومن أجل ذلك يبقى الإشكال قائماً إذ يجدر اللجوء إلى بعض الآراء النقدية لبعض الدارسين الجزائريين والأجانب وبعض آراء المبدعين اللذين كتبوا باللغة الفرنسية.<sup>1</sup>

عانى الأدب الجزائري الحديث وبخاصة الرواية كثيراً من مشكلات الترجمة وكانت تعتبر أزمة بالنسبة له، فإذا كانت الظروف السياسية والتاريخية مانعا في ترجمة الإبداعات الأدبية إلى اللغة الفرنسية في عهد الاستعمار فإن مرحلة ما بعد الاستعمار كانت مرحلة الارتقاء والتغيير، كان من الممكن جدا الاستفادة من الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لتطوير الرواية المكتوبة بالعربية، بترجمة إبداعات الروائيين أمثال مولود فرعون، محمد ديب، مولود معمري، مالك حداد، أسيا جبار، إلى اللغة الفرنسية وانتشار النسخ عن شرائح القراء بطريقة تمكنهم من الاطلاع عليها بصفة دائمة بيئة بإعادة النشر كلما زاد الطلب عليها.

إن الإصرار على تناول إبداعات الروائيين الجزائريين باللغة الفرنسية جعل الهوية تتسع بين المبدعين الجزائريين وعضو التأخر الرواية العربية إلى غاية السبعينات من القرن العشرين لتصرف أول رواية ذات حبكة فني جيد متمثلة في " اللاز " لظاهر وطار و"ريح لجنوب " لعبد الحميد هدوقة كان الاستفادة من التجربة الفنية لكتاب جزائريين كتبوا باللغة الفرنسية، وبالتالي يكون أكثر نضجا من مساره الحالي.<sup>2</sup>

لم يهمل المهتمون بشؤون الأدب وترجمة روايات الخمسينيات والستينيات وإنما غضوا الطرف تماما عن الروايات السابقة لتلك الفترة روايات لم يكتب لأصحابها معايشة الثورة أو الانضمام إليها، وراح الكثير من مؤرخي الأدب يراهنون على محمد ديب ومولود فرعون ومولود معمري على أنهم رواد الرواية الجزائرية ويحددون سنة 1950 على أنها

<sup>1</sup> عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة ، المرجع السابق، ص 275

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 276-277.

البداية الحقيقية للرواية في الجزائر غير أن الكتابة الروائية سبقت ذلك التاريخ بأزيد من نصف قرن.

ظلت جل تلك الإبداعات حبيسة إدراج المكتبات عتيقة لا يتداولها إلا المتخصصون ولم تعرف طبعة جديدة منذ صدورها أول مرة بينما نجد نصوص من الأدب الفرنسي تعود إلى القرن السادس والسابع يعود طبعها في حلل باهية حتى و إن كانت ضعيفة الأسلوب ومن بين الروائيين نجد الروائي " شكري خوجة " صاحب رواية " العليج أسير البرابرة " سنة 1929 بدار أراس للنشر بباريس، باسم الرواية لا نسمع لها ذكرا إلا في كتب تاريخ الأدب ولكن المترجمة " سامية سعيد عمار " منحت مؤلف الرواية حياة جديدة بترجمتها إلى اللغة العربية فهذه الترجمة قد مكنتنا من التعرف أكثر على النص بغض النظر عن القيمة الأدبية فإن الأهمية تكمن في تاريخ الرواية الجزائرية حال رواية شكري خوجة هي نفسها حال روايات كل من " ابن رحال " و " عبد القادر حاج حمو " وغيرهم من الروائيين لم يُعاد نشر رواياتهم و لم تترجم إلى اللغة العربية ما عدا ولد الشيخ الذي نشرت روايته " مريم بين النخيل " 1984 أثارت الرواية ذات الرسم الفرنسي في الجزائر نقاشا حادا منذ عقود من الزمن لا يكاد بهداً حتى يستشار من جديد، كما أن رحيل محمد ديب سنة 2004 بعدما فقد الأدب الجزائري مولود فرعون و الكاتب ياسين، مولود معمري، مالك حداد من المتأخرين رشيد ميموني، كان سببا في نبذ الخصومات والنظر إلى الظاهرة الأدبية بنوع من الموضوعية يجب التأكيد على أن الكتابة الروائية فن جديد في الأدب العربي منبعه الأدب الأوروبية، إذ كانت الرواية في القرن السابع عشر والثامن عشر وسيلة للتسلية من خلال روايات خيالية وروايات الفروسية، ثم عرفت أوروبا ضمن منطلق التطور الاجتماعي والسياسي والفكري الرواية الرومنتيكية مع " جان روسو " وفيكتور هيجو ثم ظهرت روايات واقعية في القرن التاسع عشر.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أحمد منور - الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دراسات وإبداعات

الملتقى الدولي السابع، مطبعة إفتياح للنشر، برج الكيفان، الجزائر ص 117



إن الزخم الكبير من الروايات الفرنسية التي تعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الصادرة في فرنسا والمتداولة في المكتبات أو التي أعيد طبها في دور النشر في الجزائر منها سولو وشاراس في الجزائر العاصمة " وبلازا " بوهران و كذلك ابداعات المستوطنين أنفسهم كانت الزاد التي تتغذى بيه بعض الجزائريين في مطلع القرن العشرين وبعدها فرضت السلطات الفرنسية التعليم باللغة الفرنسية كما سعت إلى محو كل أثر الشخصية الوطنية و خاصة ما تعلق بالدين الإسلامي.<sup>1</sup>

وفي غياب التواصل مع الشعوب العربية المجاورة ولم يجد الجزائريين آنذاك إلا تقليد الأدب الفرنسي في أشعاره وكتاباته النثرية بداية بالنقلات التي كانت تنشر في المجالات والصحف التي أخذت تعرف بالوجود و منها الشبان الجزائريون والهلال والإسلام سنة 1904 - 1912 وكلها صحف مزدوجة اللغة.

ومن خلال ذلك يمكن القول بأن أزمة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية التي عبّر عنها أدباء عن ألام و هموم الشعب الجزائري، رغم امتلاك مبدعيه للثقافة الفرنسية إلا أن مضمونه يمثل صوت الشعب الجزائري، ما اللغة الفرنسية إلا وسيلة لبث إبداعاتهم وما قاله " محمد ديب " و " مالك حداد " بنفذ مزاعم بعض النقاد الذين زعموا بعد الاستقلال أن هذا الأدب المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرنسي وحاولوا إلحاقه بالأدب الفرنسي لكنهم فشلوا في ذلك لأن الأدباء المبدعين لهذا الأدب أكدوا أن اللغة الفرنسية وسيلة تعبير فقط، وهو ما يؤكد مولود معمري بقوله " ولا يجذب أن نبكي وأن نشعر بالضياح لأننا نكتب بالفرنسية فأنا شخص إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأية عقدة ونقص، فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطف وأفكاره ويبدل مجهودا كبيرا في سبيل التواصل إلى الشيء الذي يُريده ... إنني أقول أن هذه الفرصة بل إنها الثورة للثقافة الجزائرية " ومنها فاللغة الفرنسية لمولود معمري مجرد وعاء للأفكار.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بشير مفتي - الكتابة الروائية و الأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد 159 بتاريخ 15 / 05 / 2001.

<sup>2</sup>، المرجع نفسه.

أما اللغة بالنسبة للكاتب ياسين فهي تعتبر وسيلة تعبير فقط، حيث يقول و الجزائر تملك أدوات تعبير عديدة فلماذا نحرّمها منها ولا تبقى غير واحدة فهو يدعو إلى استغلال واقع المجتمع الجزائري بعاداته و تقاليدّه، وظروف تعايش سكانه.

وبهذا يمكن القول أن الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية هي أدب جزائري مكتوب باللغة الفرنسية هي أدب جزائري في صميمها والذي نشأت في ظل الاستعمار الفرنسي والهموم الوطنية ومعاناة الشعب الجزائري، وقد صورت آمال وطموحات هذا الشعب الجزائري الذي أراد التخلص من قيود المستعمر ولا يُعاب على أصحابه أن إبداعاتهم جاءت باللسان الفرنسي ولقد ظهر أدباء من خلال أعمالهم باللغة الفرنسية نضجا من الناحية الفنية والقومية وإدراك الحس الوطني وترسيخ مآثر الشعب الجزائر عبر هذه الإبداعات.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد حضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 90

# الفصل الثاني

## - المبحث الأول: الكتاب الجزائريون واختيار الكتابة باللغة الفرنسية:

تعتبر الكتابة رمزا للقوة بدءا من الكتابات السماوية المقدسة إلى عصرنا الحالي وتكتسي الوثائق المكتوبة أهمية ومصداقية قانونية وتاريخية لا تضاهيها فيها الأقوال الشخصية أو الخطابات غير المكتوبة وتؤيد تلك المقولة " يفيد الصوت الإبهار أما الخط فيحرك التفكير " لم تؤثر الكتابة الأدبية والروائية بشكل خاص في الكتاب الجزائريون الذي اختاروا الكتابة باللغة الفرنسية أو حتى للذين فرضت عليهم، ولكنها بسطت سلطتها على مثليهم فحركات الفكر واستدعت أعماله لفهم مجريات الأحداث.

لقد كانت هذه الكتابات موجهة حقيقة الإستعمار والثورة على شرائعه وقوانينه، فلقد استعان الكتاب بحبرهم واستعرضوا عن السلاح، يقول مولود معمري في نفس السياق " عبر على أن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين وفي الإمكان أن نطلق العبارات النارية بواسطة القلم هذا حال الكاتب وفي سبيل ميل الجزائريين إلى جنس الرواية بالتحديد فلكونها تكفل لهم فضاء أوسع للتعبير عن مكنوناتهم وعرض أكبر عدد من قضاياهم وتصور أكبر عدد من الشخصيات والأحداث في الجزائر ويختلفون في ذلك عن الكتاب ذو الأصل الفرنسي الذين عاشوا في الجزائر وكتبوا فيها على أنهم قد أخذوا على عاتقهم فضح واقع البؤس والمعاناة التي عايشها الجزائري وأعلنوا بطريقة إما مباشرة أو ضمنية عن اعتراضهم على الممارسة الاستعمارية.<sup>1</sup>

كانت الكتابات باللغة الفرنسية التي أنتجها الكتاب الجزائريون موضع جد في بداياتها لان اللغة التي استعانوا بها هي لغة غريبة عن الغالبية المجتمع الجزائري، ولان أعمالهم نشرت في فرنسا أو لأنهم تلقوا جوائز وتكريمات من الخارج، تمثل الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية مولودا استثنائيا يحمل في جهاته الجوهر الجزائري والمضمون المحلي المكتوب بأسلوب وتقنية اللغة الفرنسية و جمعت بين ذلك الروائيين وحنكتهم ليصيب الكل في قوالب الانسجام، لقد جمع الروائيون في نصوصهم مظاهر تقليدية وأخرى جديدة فطرقوا العادات والتقاليد العربية والإسلامية والملاحم المحلية والحياة اليومية للإنسان البسيط،<sup>2</sup> وكذا

<sup>1</sup> بامية عايذة - تطور الأدب القصصي في الجزائر ، المرجع السابق، ص 137.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 138.

الجوانب الأنتوغرافية للقرى والمدن والأحياء الجزائرية وكانوا شاهدين على الواقع المعاش تلك الفترة وكتبوا آملين أن يتغير.

ولكن بلغة أخرى، يستغرب مولود فرعون<sup>1</sup> طرح إشكالية استعمال الرواية الفرنسية يشكك فيها ويضعها في خانة الاتهام وذلك لأن معظم الكتاب لم تكن لهم خطوة تعلم اللغة العربية وإتقانها ليكتبوا بها فهم لم يمتلكوا مستوى اللغة الفرنسية كأداة للتعبير فاستعملوها ليسمعوا صوتهم لفرنسا الاستعمارية ولينقلوا واقعهم وأحلامهم وقد رفض بعض النقاد الفرنسيين استخدام اللغة الفرنسية كأداة محاربة للمبادئ الفرنسية قائلًا مرة أخرى يظهر كاتب الذي برع في لغتنا ليحدث جرحا عميقا، فلا يصدق مطلقا أن في مدينة تلمسان يموت جميع الناس فلم يكن سهلا عليهم أن يكتبوا بلغة غير لغتهم الأم ولكن هدفهم تطوير لغة المستعمر كان لخدمة القضية الوطنية ويندرج الأدب الجزائري باللغة الفرنسية ضمن نطاق المثاقفة حتى وعن تمت بطريقة عنيفة للاحتلال، وفرضت الثقافة الجديدة على الثقافة المحلية فرضا، فإنها شكلت أدبا فريدا من نوعه ميّز الأدب الجزائري عن غيره من الآداب الأوروبية والعربية وحتى تجربة الكتابة بغير اللغة الأم فلم تقتصر على الأدباء الروائيين الجزائريين بل تعددت إلى غيرهم من اللبنانيين، أمثال "جبران خليل جبران" و"جورج شحاتة"، حيث لم ينظر إدوارد سعيد على أنهم من إنجلترا أو فرنسية. إذا كان الروائيين الجزائريون الذين كتبوا بالفرنسية إما طواعية أم مكرهين نتائج ظروف تاريخية عايشتها الجزائر وتبوات فيها اللغة الفرنسية المراتب العليا في حين ظلت اللغة العربية محاربة في عقر دارها و لكن ما يببدا مؤسفا كان في حقيقة الأمر عاملا ذا نفع فقد ساهمت المدارس الفرنسية بما قدمته من دروس وعبر عن الثورة الفرنسية من أجل الحرية والمساواة في تنوير الطلبة الجزائريين وزيادة وعيهم لما يحدث حولهم فلم تفلح مساعي الاستعمار في تشويه الهوية الجزائرية الأصلية وتزييف التاريخ، حتى وإن سلمنا بواقع تأثرهم بالثقافة الفرنسية التي حملتها إليهم اللغة التي تعلموا وكتبوا بها، وهو الشيء الطبيعي نظر لحتمية انتقال مظاهر الثقافة من خلال لغتنا فإن مواقفهم ظلت ثابتة لا غبار عليها.<sup>2</sup>

- ونورد أمثلة من أهم الروائيين الجزائريين أبرزهم:

<sup>1</sup> مولود فرعون ولد 1913 - 1962 بتيزي وزو هو أديب و كاتب جزائري يكتب بالفرنسية و من أعماله الأرض و الدم، الدروب الوعرة.  
<sup>2</sup> أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، المرجع السابق.

## 1- مولود فرعون:

كانت الكتابة الروائية بالنسبة "مولود فرعون" تعبيراً عن الذات وتعريفاً بالواقع، فهو لا يتطرق إلى القضايا التي يعيشها ويفهمها بغية الكشف أوجه الحقيقية ولنا في رواياته "أبن فقير" "pouvre le fils du"، "الأرض والدم" "le terre et le sange"، الدروب الوعرة "chemins qui montent la"، أمثلة عن يقظاته وتوظيفه للذاكرة والفضاء المادي والتراثي القبائلي في النسيج الروائي، رغم الاحترام العميق الذي كان يكنه مولود فرعون لألبير كامي إلا أنه عاتبه لتغييبه العنصر الجزائري عن رواياته، العنصر الجزائري كما هو في الحقيقة لا كما صورته كامي في عالمه المثالي.

نلاحظ أن مولود فرعون استعمل في رواياته الصيغ تنتمي إلى اللغة العربية واللهجة الجزائرية والقبائلية خاصة عند تصوير المجتمع القبائلي فهو يذكر الكانون وألفوطه الحمراء، رمزا للمرأة القبائلية وتسميات الأدوات المستعملة في الحياة اليومية ومفردات عديدة لا توجد في قواميس اللغة الفرنسية.<sup>1</sup>

## - ملخص رواية الأرض والدم:

تناول فرعون في رواية "الأرض والدم" أول مرحلة عملية الهجرة إلى شمال إفريقيا للعمل بسبب الوضع الشاق للعمال والفلاحين في المستعمرات التي بدأت بشكل مكثف من العشرية الأولى من القرن العشرين وإذا كانت الهجرة الاضطرارية مرتبطة في البداية بالمعاناة الشاقة لفراق الأرض الأصلية فإن الأمر أصبح شيئاً فشيئاً عادياً، أملاً في الكسب في فرنسا، وحدث أن العودة إلى القرية كانت مرفوقة بصدمة نفسية فقد كان الإحساس بالغرق بين العالم المهجور - عالم الغرب - وعالم التقليدي وهكذا يعود عامر في روايته "الأرض والدم" إلى موطنه رفقة زوجته الفرنسية بعد أن اشتغل سنوات عدة في فرنسا وجرب كل أنواع الحرمان التي كانت تصيب المغتربين في أوروبا لكنه لا يستطيع مدة طويلة أن يتأقلم مع حياة قريته الصغيرة التي بدت له مختلفة ومتوحشة واحتاج إلى عامين كي يصبح قبائلياً. وكأنه لم يرى الكثير في حياته ولم تحانكه الصعاب ولم يواجه الموت،

<sup>1</sup> مولود فرعون، الأرض والدم، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلافيف للنشر، بجاية، الجزائر (د. ط) سنة 2005 ص 115.

تقع أحداث الأرض والدم الرواية الثانية لمولود فرعون بعد الرواية الشهيرة ابن فقير وقد تناول فيها علاقة الإنسان الجزائري بالأرض ومما جاء فيها " إن أرضنا الطيبة إنها تحب وتمنح في الخفاء وتتعرف سريعا على أبنائها على هؤلاء اللذين خُلقوا لها وخلقت لهم، من شاء أن يكشف عن جمال أرضنا فليمنحنا حبه ". .

بطل الرواية هو " عامر " أو " قاسي " وقد كان قد غادر بلاده الأم " القبائل " وهو يعد صغيرا جدا ليعمل في مناجم الفحم في فرنسا، وعندما حلّ ببلده المنفى قرر أن لا يعود أبدا لقريته وأن ينسى والديه، بالرغم أنه ابنهم الوحيد و بالنسبة لهم أملهم في القضاء شيخوخة سعيدة لكن يبدوا أنهم رهنوا على فرنسا الخاسرة، وبعد سنين طويلة من الغربة قرر عامر العودة إلى قريته ليجد والده قد فارق الحياة منذ مدة أما أمه فقد عرفت الجوع والفقر والبرد في غياب الزوج والابن لكنها قاومت بالرغم من كل ذلك وعملت في شتى الأعمال البسيطة لكي تسد رمقها، بالعودة المفاجئة إلى القرية يجد عامر نفسه أمام تحديات كبيرة وإنه يجب أن يدفع ثمن هذه الهجرة و هذا النسيان، خاصة انه في أثناء غربته قد تورط في قتل عمه " رابح " بغير قصد، ليجد أهله في انتظاره راغبين في الأخذ بالثأر لا سيما أخ القتل " سليمان " وفي البداية يؤكد الكاتب على واقعية أحداث القصة يقول "إن القصة التي سوف نقصها عليكم قد وقعت فعلا في زاوية صغيرة من بلاد القبائل". .

L'histoires qui va suivre a été rellement vécu dans un coin kabyle

". ، حتى يهرب " عامر " من فنادق باريس المظلمة البائسة من الذكريات السيئة في الهجرة يقرر مع ماري الذي تزوج في فرنسا و استقر في بلاد القبائل جاء بكل ما وفره في فرنسا من أجل الاستقرار في هذا المكان الحقيقير و يقوم بإستراد الأراضي التي باعها والده قبل موته، يكتشف عامر لدى عودته إلى القرية حجم التحديات التي يواجهها رفض القرويين له وغيره الجيران منه خاصة جاء ليحتل مكانة مرموقة لم تكن عودته مقبولة من جميع لأنه عندما رحل قطع روابط بينه و بين الأرض، لقد اعتبر مجيء عامر إلى القرية كأنه انتهاك لحرمة وأنه جاء حاملا أثائه البريسي حاملا معه غريبا على قريته كأنه اغتصب حرمة القرية لكن أكبر الانتهاك أقدم عليه عامر مجيء زوجته ماري وفي غمار الأحداث تنشأ علاقة بين زوجة سليمان و عامر على علاقة آثمة محكوم عليها بالنهاية المأساوية فتنتهي

القصة بجريمة عاطفية حيث يفجر سليمان المنجم ليقضي على عامر ويموت سليمان بدوره تحت صخرة كبيرة.

## 2- محمد ديب:

كانت الكتابة بالنسبة "لمحمد ديب"<sup>1</sup> جهادا من أجل الحرية واعتبارها أداة لا تقل أهمية عن الأسلحة للحرية حيث اعتبرت كتاباته محررا للثورات فكانت كتاباته الأولى سهلة ذات لغة معبرة جدا وتحررت عبر ثلاثية شهيرة (الدار الكبيرة 1952، الحريق 1954، النول 1957) الأصوات المقهورة والمضطهدة لسكان مدينة تلمسان بجميع أطرافهم، النساء، الأطفال، الفلاحين، العمال ... الخ، تبنت الثلاثية اتجاه الواقعية وارتدت اللباس اللغوي الذي يناسبها ارتبطت كتابات ديب بحالة الشعب من خلال طفولة عمر البائسة والصراع الطبقي والسياسي وعالم العمل الشاق وصولا إلى عالم الريف الفقير حتى أن بعض النقاد أشاروا أن الكاتب محمد ديب قريب من شخصية عمر معتقدين انه كتب عن نفسه، ومما ميّزه عدم انقطاعه عن الكتابة كما حدث مع غيره من الكتاب رغبة منه في تقديم يد العون لشعبه بالكلمة ومعالجة الحالات الإنسانية التي فقدت الأمل في العيش الكريم وبلغ منها اليأس مبلغا عظيما، ويرى ديب في كتابة باللغة الفرنسية أمرا طبيعيا ولا يدعوا إلى التعجب أو الدهشة فهو أمر واقع فعلي رغم تمكنه من اللغة الفرنسية وامتلاكه فنية لغوية مشهود له بها، فلم تخل أعماله من اللغة العربية تمثلها مفردات جزائرية مثل:<sup>2</sup>

دير الخير تلقاه ( n' est il pas dit accomplis le bien tu retrouveras ) ما يوحي بانتماء ديب العربي و تمسكه بالأصالة الجزائرية ويبرهن على فشل الثقافة الفرنسية على فرض نفسها أمام الحضور القوي للبيئة العربية والتراث اللغوي المحلي، كما نجد محمد ديب ظل ينتج أعمالا ثورية تبطش الاستعمار وبشاعة أعماله من جهة أخرى وتشيد من جهة لكفاح الشعب والتغني بأمجاده ومآثره القديمة والجديدة وتعمق الإحساس بالوعي الوطني، كانت تشكل أعمال ديب الأدبية سلاحا في مرحلة ما قبل الاستقلال أن تتحول إلى

<sup>1</sup> محمد ديب 1920-2003- هو شاعر و كاتب مسرحي و روائي جزائري باللغة الفرنسية و من أهم أعماله الدار الكبيرة ، و ثلاثية الشمال .  
<sup>2</sup> محمد ديب الدار الكبيرة،ترجمة سامي الدروبي،المرجع السابق،ص65.



مجرد أعمال فنية بعد أن نالت الجزائر حريتها، وضع ديب أسلحة وكرّس مجهوده للكتابة فنجد أعمال ديب قد مرت بمرحلتين مرحلتين هما ما قبل الاستقلال وما بعده.

### - ملخص الرواية: (الثلاثية لمحمد ديب)

وتضمنت أحداث الرواية لثلاثية محمد ديب مرحلة هامة في تاريخ الجزائر حيث تجرى الأحداث في الجزء الأول بإحدى دور مدينة تلمسان وهي دار سبيطار التي تقطنها العديد من العائلات الجزائرية بينما ينقلنا في الجزء الثاني إلى عالم الفلاحين بقرية مجاورة بتلمسان ويصل بنا في الجزء الأخير إلى أحد مصانع النسيج ليبين بؤس و شقاء عماله وأحلامهم في توفير لقمة العيش المغمسة بمرارة والظلم المستعمر شكّلت صورة الجزائر في الثلاثية من خلال شخصها الذين أدلهم المستعمر وسلب كرامتهم وإنسانيتهم وممتلكاتهم ليصبحوا أجزاء في أراضيهم إضافة إلى سياسة التجهيل والتفجير التي مارسها المستعمر على الشعب الجزائري، إذ تكون الشخصيات في رحلة بحث دائمة عن الخبز أو الجوع بمفهومه القريب و البعيد و يستهل روايته " الدار الكبيرة " بجملة " أعطيني قطعة خبز " وهكذا يتابع الأطفال في المدرسة رحلة بحثهم عن الخبز منبهرين بما يخبرهم الفتى صاحب المكانة العالية "إدريس خوجة، عن أكله فيقول الكاتب" إن الأعين كلها تشخص إليه وتفحصه تفحصا غريبا و يسأله أحدهم : أكلت وحدك قطعة كبيرة من اللحم هكذا؟ لقد قتل الجوع في أولئك الأطفال أحلامهم التي لم تعد تتغذى كالحصول على قطعة خبز، وبالمقابل الحديث إدريس عن الأطعمة المختلفة نجد عيني والدة عمر بطل الرواية تصب في طبق معدني كبير الحساء المغلي، وهو حساء بالشعرية المفتتة والخضار ولا شيء غير ذلك ويبلغ الأمر في كثير من الأحيان أن تكثفي بصب الماء في الحلة فيظل يغلي لغاية ما يأخذ الكرة بلإجفاء، وكانت تلجأ لها نساء كثيرات و هكذا كانت أسر الدار الكبيرة تُخادع الجوع ويخادعها مرات عديدة، إنها الإنسانية المهانة من طرف المستعمر فإذا شخصيات دار السبيطار تتحول إلى كائنات بدون طموح أو كيان حلمها وشبحها هو الخبز وكيفية الحصول عليه وهكذا شكّل الجزء الأول من الثلاثية، ويبدأ الجزء الثاني (الحريق) عام 1954 غنه عام الثورة وهو أيضا عام لم يخل من الجوع إذ يستهل الروائي هذا الجزء بالحديث عن الجوع ويتكلم عن الوضع العام للفلاحين وهم يقدمون خيارات أراضيهم للمستعمر كما يصف

حالة فقرهم الذي تبينه أكوأخهم و يظل الجوع يطاردهم و هم يعملون بأجور زهيدة جدا ويبدأ الحديث عن الجوع بالتلاشي في الجزء الثالث (النول) 1958 رغم الفقر الذي يستمر بين العمال حيث تبدوا ظاهرة الفقر موسومة على ملامح عمال النسيج بالرغم من حصولهم على الجرة كل شهر فهل استطاع أحدهم أن يغير من حالته المادية منذ دخل مصنع النسيج؟ دخل الفقر معدما ولا يزال فقيرا وقد بلغت رأفت دخل المصنع فهم يعملون مسبقا وأن مصير عمر يشبه مصيرهم، سيظل فقيرا مثلما دخل فقير، فقد ترك عمر الدراسة ليلتحق بالعمل في المصنع في سن مبكرة لأن الجوع مرة أخرى يهدد الكبار والصغار، وقد برع الكاتب في تصوير بؤس العمال وهذا البؤس الذي ارتبط بمحاولات المستعمر ولساسة التعسفية للقضاء على شخصية الجزائريين من خلال سياسة التجويع والقهر الدائمين.

### 3 - مولود معمري:

يعتبر صاحب رواية " الأفيون و العصا " أن اللغة هي الأداة الفريدة للتحري والتواصل مع باقي العالم فتعلم الفرنسية كما جاء على لسان بطا الرواية " بشير " شكلت مجرد وسيلة لاستمرارية الحياة و أدت وظيفة محددة فكونه طبيبا جراحا، فإن اللغة الفرنسية لا تعدوا أن تكون مجرد أداة تتساوى مع مسامع القلب أو مشرط العمليات ولا تخلوا رواياته كغيره ممن سبق ذكرهم من مفردات تنتمي إلى معجم اللغة لهجة الجزائرية. صاحب رواية I opien de le baton ( الأفيون و العصا ) الصادرة عام 1955 مباشرة بعد اندلاع الثورة الجزائرية التحريرية، والتي تُمثل ظاهرة بالغة الأهمية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية في عهد الاستقلال.<sup>1</sup>

### - ملخص رواية الأفيون والعصا:

يعرض معمري<sup>2</sup> في هذه الرواية قصة قرية جزائرية في جميع مظاهرها أثناء المقاومة إنا مقاومة كما يراها الذين عاشوا وتجاوبوا معها وتحملوها يمثل العنوان أولى الوحدات الدلالية المكونة لبنية العمل الإبداعي لما يتمتع بيه من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارات وكثافة الدلالات يشكل عنوان هذه الرواية وحدتين دلالتين أساسيتين

<sup>1</sup> إيمان العامري، بحوث و دراسات الإنسانية، العدد 10، سنة 2015 ص 171 - 190.

<sup>2</sup> مولود معمري 1917-1989- هو روائي و باحث أمازيغي جزائري في اللسانيات الأمازيغية و من أعماله الأفيون و العصا ، الربوة المنسية.

"الأفيون و العصا" وهذا يطرح تساؤل حول علاقة الكلمتين بعضهما الأفيون يحتوي على مادة المورفين المخدر، أما العصا فلا طالما ارتبطت بالشدة والضرب واستعمال القوة والعنف، وفي المثل يقول: "العصا لمن عصا"، وكان الكاتب في هذه الحالة يهياً منذ البداية للدخول في عالم غريب وموحش، حيث أن هاتين الكلمتين، تحضران في سياق النص عند الإشارة إلى العنوان في الصفحة الثالث عشر فإستراتيجية الأجهزة الاستعمارية كانت دوما سياسة "الأفيون والعصا" أي الترغيب والترهيب في تسيير شؤون الجزائريين، حيث اعتمدت في بداية في بداية السياسة الإدماج التي حاولت من خلال جعل الجزائر قطعة فرنسية، ومارست على الجزائريين أسلوب تزييف الحقائق عن طريق نشر ثقافة فرنسية واللغة الفرنسية لطمس معالم الشخصية الوطنية، وذلك ما يشبه سياسة التنويم والتحذير التي قوبلت بردة فعل عنيفة من طرف الجزائريين تمثلت في اندلاع الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى وقبلها الثورات الشعبية تعبيرا عن رفضهم القاطع الموجود الاستعماري وسياسة للعنف. والإرهاب التي تمثل في القتل والسجن والضرب والتعذيب بذلك تتضح الصورة الدلالية للأفيون والعصا.

كما تحمل هذه الرواية بعدا رمزيا، فهو يتعلق بمسيرة "الدكتور البشير" المثقف الجزائري الذي عاش المهجر لدراسة الطب، وبعد اندلاع الثورة عاد إلى البلاد واستقر في العاصمة بعيدا عن مظاهر الحرب والدمار، إلا أنّ معاناة أبناء بلده يدفعه إلى الالتحاق بصفوف المجاهدين الذين اتصلو به واقترحوا عليه الانضمام في صفوفهم، وهكذا تدور الرواية حول فضائين هما: فضاء القرية المشبعة بمظاهر الحرب والموت وفضاء المدينة الرواية التي يخيم عليها الهدوء والاستقرار ومظاهر الحياة المترفة بوصفها منطقة أوروبية مختصرة تستقطب المستوطنين وتوفير لهم فضاء للمتعة والانسجام.

في هذه الرواية بين الكاتب (مولود معمري)، الفكرة الاستعمارية القائلة بأنه الإرادات أن تحكم شعبا فاستعمل العصا، فإذا لم تدفع فاستعمل الأفيون والعصا فهو يقدم تجربة جزائرية في جميع مظاهر أثناء المقاومة تتعاطف مع الثوار تحاول السلطات الاستعمارية تروضها لكن عبثا أو عندما ننسق القرية كاملة يراها الذين عاشوا وتجاوبوا معها وتحملوها وقد ميزت أعمال هذا الكاتب بمسايرتها للواقع السياسي إضافة إلى تصوير

المجتمع القبائلي بكل خصائصه كما تناول الثورة الجزائرية التي انخرط فيها بعد الحرب العالمية الثانية، فلم يستطع الكاتب أن يصور بهذا العمق تلك المعاناة النفسية التي يعيشها الفرد الجزائري العادي والفرد المثقف البرجوازي الصغير أمام تلك التجربة كما يصورها معمرى.

وتعتبر اللغة هي الأداة للتجاوز والتواصل مع باقي العالم فاللغة الفرنسية ليست أداة للخيانة إنها ناقل للحقائق و الترجمة لتصوير الواقع، فتعلم الفرنسية كما جاء على اللسان بطل الرواية "بشير" شكلت مجرد وسيلة لاستمرارية الحياة وأدت وظيفة محددة فكونه طبيبا جراحا، فإن اللغة الفرنسية لا تعد أن تكون مجرد أداة تتساوى مع مسامع القلب أو مشرط للعمليات ولا تخلوا روايات كثير مما سبق ذكرهم من المفردات تنتمي إلى معجم اللغة العربية واللهجة الجزائرية.

#### 4 - مالك حداد:

- يرى مالك حداد<sup>1</sup> أن الكاتب إنسان عادي لا ينبغي تحميله ما يفوق طاقاته، فهو ليس صانعا للتاريخ بل شاهد عليه، لا يمتلك القدرة على تغييره شيء، لكنه يثمن فعل الكتابة في واقعه، فيربط أهمية القلم الذي يحمله بأهمية الرشاش أو مقبض المحراث، فالكتاب بالنسبة له يزعجون راحة الاستبداد ويقضون مضجعة، والأعمال الأدبية الصادرة في ظل واقع الاحتلال بناء يضاف لاكتمال صرح الإنسانية ولتحقيق الحرية والكرامة.<sup>2</sup>

شكلت اللغة الفرنسية سجنا لمالك حداد ووقعت حاجزا بينه وبين بني بلده ممن لا يتقنون فقد قاس عمق الهوة بينه وبينهم بعمق وامتداد البحر الأبيض المتوسط، واعتبرها منفاه واعتزلها غداة الاستقلال لبطلان الحاجة إليها، تخلو الروايات من عبارات إستعارها من لغة الشارع الجزائري مثل "لي فات مات"، "ولاباس"، ولعل أهم مقولة تؤكد اعتزازه بقومية قوله "نحن نكتب الفرنسي ولا نكتب بالفرنسية" " nous écrivons le français

" nous n' écrivons pas en français

<sup>1</sup> مالك حداد (1927-1978) شاعر و كاتب جزائري من أهم أعماله الإنبطاع الأخير، رصيف الأزهار لا يجيب، ساهبك غزالة.

<sup>2</sup> أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، المرجع السابق، ص 320.

كتب "مالك حداد" باللغة الفرنسية وظلت كتاباته تمثل وثيقة ثورية تبين إيمانه بقضية شعبه ووطنه، له مجموعة من الأعمال أهمها «سأهبك غزالة» «رصيف الأزهار لا يجيب» عام 1961م

#### - ملخص رواية سأهبك غزالة:

كانت هذه الرواية محملة بأرواح الذكريات وأوجاعها إنطلاقاً من مربع ذكريات قسنطينة مسقط رأسه، حيث هواه ومدفن ألامه وأماله معا، هذه المدينة التي مارست ضغطها على الشارع "الرصيف الباريسي" الذي لم يعد يجيب، فيها يرتسم جو قسنطينة الخريفي منذ البدء فتضطرم مشاعر البطل (خالد بن طوبال) بمختلف الأحاسيس منها أحداث الدامي برصاص الاستعمار الفرنسي في (8 ماي 1945) في الصباح كانت ثانوية قسنطينة القديمة متأثرة إلى أقصى حدود التأثير، كانت تداوي بمشقة جروحها مما أصابها فصل الربيع، وكانت طيور اللقالق تنظم رحيلها وكانت الأراضي في الجبال المحيطة في المدينة صفراء اللون، في ثانوية المدينة ومن ثمة بدأ الحس الوطني ينمو وتقدم (خالد طوبال) يلتحق بقسم الفلسفة حيث جمعته الصدفة على مقعد الدراسة بالطالب الأوروبي (سيمون كاج) من أجل دراسة اثر "بيرجسون"، وإهمال باديس والشعراء الجزائريون.

#### 5- كاتب ياسين:

يؤكد الكاتب "ياسين" من خلال الكتابة الروائية باللغة الفرنسية في اختراق العالم العربي الداخلي والتعبير عنه باللغة الفرنسية تبقى في رأيه أكثر اللغات تمسكا وتعبيرا عن التناقضات بشكل واضح وينفق مع "محمد ديب" في القناعة بالانشغال بإيصال الأصوات التي لم يكتب لها أن تسمع عنها سوى اختراع آخر من نسج الخيال، ونرى أن الثقافة العربية والفرنسية تتشابك في كتابات - الكاتب ياسين<sup>1</sup> - فقد تمكن من التعبير عن ظواهر غريبة عن الثقافة العربية باللغة الفرنسية، واستطاع أن يتسلل من خلال اللغة إلى عمق الاحتلال ويفجره من الداخل و نلاحظ وجود صيغ عربية في رواية " النجمة " مثل أو اه Aouad المستعملة للتعجب وقد اختار "كاتب ياسين" التحول إلى اللغة العربية وكتابة المسرحيات للتقرب من الجمهور الجزائري، وفتح أعينه لفهم مصيره وكان هذا التحول خيار شخصيا أشهره

<sup>1</sup> الكاتب ياسين (6 أوت 1929 - 82 أكتوبر 1989) كاتب وأديب جزائري من أشهر رواياته " النجمة ".

بالانتماء إلى الأرض والشعب وكيفية التصدي بيه للمستعمر بلغته من خلال روايته " النجمة " توجه بعد الاستقلال إلى استعمال أسلوب العامي من أجل زرع الوعي فصار مشهورا عالميا من خلال أعماله باللغة الفرنسية.<sup>1</sup>

### - ملخص رواية النجمة:

بعد 58 سنة على صدورها بالفرنسية، ما تزال رواية " النجمة " للجزائري "الكاتب ياسين" (1929 - 1989) متجددة مثيرة للكثير من الأسئلة عن الثورة والتمرد والهوية والتركيبية الاجتماعية والحب والبغض والجنون، عن الجزائر التي تظل نجمته الأثرية. يرسم ياسين في روايته "منشورات الاختلاف ومنشورات ضفاف " ترجمة سعيد بوطاجين وجودها مختلفة للحب، يسطر محبوبته لا يحاول إسباغ صفات القداسة عليها ولا تنزيهها من الأخطاء والشوائب، بل تراه يذكر بعض صفاتها الأخرى، تلك التي تجعل منها أسطورة شخصية تختزل التقديس دون أن تكون مطهرة من التدنيس أيضا. فمن هي النجمة إذا...؟ هل قدم ياسين عبرها الصورة الملعونة أم المعظمة...؟ هل هي حقا امرأة أحبها الكاتب أم جزائر الخاصة التي يرسمها في مخيلته...؟ ألا تجسد النجمة سؤال الهوية والوجود.

يستهل "ياسين" أحداث روايته بهروب بطله "الخضر" من السجن وعدم اكترائه بما قد يتعرض له من ملاحقة ومحاسبة ومحاكمة لأنه يكون مسكونا بهاجس أكبر وأهم يتلبسه ويتحكم به ويقوده إلى عدم نابش طيات ماضيه، باحثا عن تلك التي سلبت الأبواب والقلوب عن "نجمة" التي تكون المراد والمشتهى المرأة التي تأثر عشاقها ولا تسلّم نفسها لأحد. لا يمكن لأي دارس إغفال السياق التاريخي الذي كتب فيه ياسين " نجمته " ولا سيما حال الثورة الجزائرية المستمرة حينذاك، والتضحيات الكثيرة التي كانت تقدمها، وواقع التشرد والهجرة لديه، واشتغاله لسنوات عليها مع ما يرافقه من تغيرات عالمية كبيرة كان لها تأثير واسع على بلاده ومن هنا تفتتح الرواية على أبعاده تاريخية، لكن بطريقة لمحة بعيدة عن المباشرة والتسجيل.

<sup>1</sup> جبور أم الخير - الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، المرجع السابق ص 36-37 .

الجزائر بجميع مكوناتها بعطائها وجمالها وتنوعها، تكون النجمة التي يهيم بها عشاقها ولا يقدرونها حق قدرها، فتبتعد النجمة، وقد تنقل من حضن سواء من محتل إلى مستعمر أو من مستعمر إلى مستبد.

يستحوذ البحث عن الهوية الوطنية على اهتمام الكاتب ياسين الذي كتب بالفرنسية التي عدّها "غنيمة حرب" وتفوق بها محققا إنجازات لافتة في عالم الأدب وأوصل رسائله إلى الآخرين.

### 6- آسيا جبار:

اختارت الكتابة باللغة الفرنسية للتعبير عن تجاربها الذاتية فقد استفادت من ذكرياتها لإعادة تشكيل الواقع الخاضع لمنطق الرواية، تطرقت الكتابة إلى مواضيع مختلفة من خلال روايتها فمن رؤية الوطن من الداخل إلى وضع واقع المرأة الجزائرية تحت المجهر ففي رواياتها *femme d alger dans leurs appartements* "نساء الجزائر في شققهم"، عالجت - آسيا جبار -<sup>1</sup> آلام ومآسي نساء الجزائريات ودافعت عن النساء اللاتي يعيشون أسيرات القيود والأغلال نادت بتحرر المرأة من الصورة النمطية التي تجسدها عند الخروج إلى العالم واكتشاف مكوناتها.

لجأت الكاتبة إلى اللغة الفرنسية عن القناعة وإختيار وسخرتها لتنقل أجمل الحكايات التي ميزت طفولتها الزاخرة بصنوف التراث القديم إلى اللغة الفرنسية ذات ثقافة أوروبية ونذكر منها رواية "القنابر الساذجة" *les alouettes naives* التي تحدثت فيها عن لسان أحد الشخصيات متسائلة عن أهمية التحدث باللغة العربية لغة القران.<sup>2</sup>

إن اللغة التي استعملها الكتاب الجزائريون كانت لغة راقية ضاهت في جمالها الفرنسية لغة "بلزاك وفلوبير"، فقد نسجوا خيوطها بحرفية عالية، ولكنها في الوقت نفسه كانت لغة فرنسية إستثنائية استطاعت أن تعبر عن خصوصيات الثقافة العربية والأمازيغية والإسلامية في الإشارة إلى أثر الموروث الثقافي للكُتاب الجزائريون الذي سكن انتمائهم للنصوص، فاستحالت إلى أعمال فنية خالدة.

آسيا جبار (1936-2015)-كاتبة وروائية و مخرجة جزائرية من أهم أعمالها(ظل السلطانة، لا مكان في بيت أبي، رواية<sup>1</sup>العطش)

<sup>2</sup>عايدة بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري،المرجع السابق،ص 155

لقد منحت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية منذ بداياتها الأولى بعدا إنسانيا وأولوية خاصة لمسألة الوطنية والهوية الجزائرية وعدتها جزءاً لا يتجزأ من كيانها والتزمت بها ما قدرت على ذلك و تبطل أعمال "محمد ديب، كاتب ياسين مولود معمري ومولود فرعون" وغيرهم، كما أنها أعمال كتبت بالعربية ثم ترجمت إلى الفرنسية لأنها تحمل بصدق ألام شعبيهم، كما سجلت معاناتهم وأحلامه و كانت شاهدا على همجية الاستعمار وجرائمه، لذلك وصف الشاعر الفرنسي (أراغو) ثلاثية محمد ديب بمذكرات الشعب الجزائري وسماه "بلزاك الجزائر" بفضل جهوده الإبداعية و تمثيله الجاد للآلام و معاناة بيئة الوطنية.

هكذا ولد الأدب الجزائري حاملا بذور الثورة والحرية مدافعا عن القيم الإنسانية في مفهومها العام، وولدت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في ظروف خاصة أسهمت في صيغ الأدب الجزائري بروافده الأدبية أخرى وهو ما حاول "مراد بروبون" قوله "عندما أعلن بان أية لغة تكون ملكا لمن يسيطر عليها و يطوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذات قومية فهذا الأدب قد خدم القضية الجزائرية وأصل صوت الجزائر إلى الرأي العام العالمي نظرا لمكانة اللغة الفرنسية وانتشارها على نطاق واسع مهددا بذلك الطريق إلى أدب الثورة الذي ازداد وتطور فيما بعد.



## المبحث الثاني: كتاب فرنسيين والكتابة بلغتهم الأصل:

لقد كان الاحتلال الفرنسي انعكاس على الشعب الجزائري وبذلك عاش الجزائريون جنبا إلى جنب الفرنسيين كخطين متوازيين على حد تعبير الأديب ( عبد الحميد بن هدوقة ) وبحكم هذا التعايش والزحف المتزايد للفرنسيين المستوطنين، ظهرت مجموعة من الأدباء الفرنسيين ولدوا وعاشوا بالجزائر، إن الفرق بين الأدب الذي يكتبه الفرنسيون وما يكتبه الجزائريون ظل واضح وإن كان بلغة واحدة وفي بيئة واحدة، وهنا الفرق يتمثل في الرواية، فقد آثرت الرواية الاستعمارية رد فعل قوي لدى المثقفين الجزائريين الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية وتشبعوا بقيم الثورة الفرنسية، لكنهم اصطدموا بجرائم فرنسا في الجزائر وخيانتها للقيم الإنسانية لذلك تحسسوا بالاغتراب الناتج عن النفاق والازدواجية وأبوا إلى مواجهة هذه المغالطات والحملات التشويه التي مست الجزائريين في مقدساتهم وهوياتهم فالكتاب الفرنسيين مواليد الجزائر لم يتعرضوا لأساليب القمع والتعذيب والإهانة التي عرفتة الجماهير الجزائرية، لذلك لم يستطع إيمانهم أن يعكس الصورة الحقيقية للجزائر وكتاباتهم وأبطالهم شاهدة على ذلك لأنها لم تصور سوى حياة تلك الفئة التي استوطنت الجزائر وتمتعت بجمالها وسحر طبيعتها لتشكل بذلك الكتابة امتدادا للأدب الاستعماري ترسيخا لسياسة الاستعمارية في الجزائر.<sup>1</sup>

هذا ما جعل الحركة الروائية الجزائرية باللغة الفرنسية تؤسس لنفسها نصا جديدا وهو مرآة لذاتها ولطموح الإنسان الجزائري في هذا النص الروائي الجديد تشكلت رؤية جديدة تبشر بميلاد إنسان جديد، قلب موازين البطولة الروائية فإن كان الآخر هو بطل الرواية الكولونيالية " الأنا الجزائري " هو الهامش فإن الوضع أصبح مختلفا حين تصدر الأنا المركز مثل دور البطولة ليهمش الآخر الفرنسي يحقق قتله الرمزي روائيا ثم واقعا بعد طرد المحتل من كل ربوع الوطن وتحقيق الحرية والاستقلال وفي الخمسينيات أسس للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لكنه حامل للثقافة الجزائرية وروح جزائرية ومشروع حضاري جزائري.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> إيمان العامري، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المرجع السابق، ص 171 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 172-173.

نتيجة لهذه الظروف ظهرت مدرسة شمال إفريقيا المعبرة باللغة الفرنسية، قد ضمت هذه المدرسة فئتين من الكتاب: الأولى فهي تمثل الجزائريين من أصل فرنسي لكنهم ولدوا بالجزائر وعاشوا فيها أمثال " إيزابيل أبرهاردت "، " إيمانويل روبلس "، " غابرييل أوديسو "، " جيل روا"، " إدموند يروا "، " ألبير كامبي<sup>1</sup> " الذين كتبوا مجموعة من الروايات يصورون فيها الجزائر وشواطئها وصيفها وكرومها وألوانها وروائحها لكنهم لم يلتفتوا يوماً لواقعها المرير لقد نقلوا صورة الإنسان العالمي دون تركيز على هوية الفرد الجزائري أو تفصيل شخصية بما تسخر بيه من خصوصية ثقافية وتاريخية، فقد ساهمت لغة المستعمر في توحيد الجهود الفكرية وتبقي لغة واحدة تجمع أبناء البلد الواحد الذين يتكلمون لهجات مختلفة إلى ذلك طبيعة الاستعمار، فالاستعمار الاستيطاني عمل على هدم للبنى اللغوية والثقافية بغية طمس معالم الهوية الأصلية واستبدالها بأخرى جديدة وغريبة واعتبر الأدباء الروائيون الجزائريون ككتاب فرنسيين قبل سنة 1962 وأي إنتاج أدبي فيما ينطوي تحت مظلة الأدب الفرنسي لكن المعمرين ممن كانت لهم انتاجات أدبية حاولوا أن يستقلوا بإنتاجاتهم و يميزونها عن غيرها بإعطائها صفة الانتماء إلى الجزائر.<sup>2</sup>

عالج الكتاب من فئة المعمرين نصوصهم ومواضيع عدة حاول بعض الباحثين وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في خانة مع الأدب الفرنسي المكتوب في الجزائر نذكر منها روايتي " الطاعون " le peste و" الغريب " etranger لألبير كامبي التي جرت أحداثها في مدينة وهران كشفت كتاباتهم عن رؤى عالمية وتوجهات إنسانية ولم تهتم بالكشف والعطاء عن الواقع المرير الذي عاشته الجزائر في تلك الفترة (1935) حتى وإن ضمت كتابا ولدوا بالجزائر لكنهم كانوا موالين لسياسة فرنسا وكانت كتاباتهم امتداد لكتابات الفرنسيين داخل فرنسا ما يجعلها في حالة تنافر مع الكتابات التي كتبها الجزائريون باللغة الفرنسية، الجزائر كانت بالنسبة لهم الأم وليس الوطن البديل كما عبر عنها الكتاب الفرنسيون الذين عاشوا في الجزائر ومنتشبعين بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي منتمين إلى فكرة مغايرة لم تفهم قط رؤية الشعب الجزائري، ولم تشاركه شعوره ولم تعرف معنى

<sup>1</sup> الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، مطبعة منصور، العدد 2 - 3 سنة 2010 ص 17.

<sup>2</sup> البيركامبي ولد في نوفمبر 1913 بالبلدية الجزائر، مندوفي، التابعة لولاية عنابة. ومن روايته الغريب، الطاعون.

الازدواجية اللغوية والعنصر الأساسي المشترك بين الكتاب الجزائريين وكتاب مستوطنين حتى الفرنسيين الذين زاروا الجزائر وكتبوا عنها وقد اعتبر هؤلاء الكتاب ذوا أصل ومنشأ جزائري وأنهم جزائريون<sup>1</sup>.

ويبدو لنا بأن الكاتب الجزائري كان من أشد المعجبين "بألبير كامي" وأعماله الأدبية. وقد أستطاع بفضل صديقه المشترك إيمانويل روبلس الحصول على عنوان كامي الشخصي، والذي كان يريد أن يحصل عليه منذ وقت طويل وبعد حصوله عليه بعث رسالة إلى كامي بتاريخ 27 ماي 1951 كتب له فيها بأنه أحسن عندما قرأ رواية " الطاعون " بأنه فهمها أكثر من أي كتاب قرأه من قبل، كما أنه عاتبه لأنه لم يتعرض بالحديث عن عرب مدينة وهران مبديا ملاحظاته عن عدم قدرة كامي على فهم المواطن الجزائري العربي المسلم.

وقد سعد كامي بهذه الرسالة على الرغم من معاتبة فرعون له وتولت المراسلات بينهما تتخلله بعض اللقاءات الشخصية وهكذا أصبحت تجمع بينهما علاقة صداقة شخصية قوية، أساسها الاحترام والتقدير المتبادل وبعد اندلاع الثورة التحريرية المجيدة شعر " كامي " بالتمزق ربما لأنه لم يكن مستعدا أن يحمل الجنسية الجزائرية في بلد حر عربي ومسلم، ففضل التزام الصمت اتجاه القضية الوطنية وذلك لأنه كان يرى بأن الطرفين متنازعين إخوانه، فلا يمكنه الانحياز إلى الطرف دون إلحاق الأذى بالآخر، وهكذا اقتنع التزامه الصمت في هذه الحالة لا يمكن أن يكون موقفا سلبيا، وقد كتب له فرعون معربا له عن تفهمه لالتزامه الصمت لأنه يرى بأنه تفكير كامي صحيح هو الذي جعله يرفض تأييد الأوروبيين في الجزائر والحكم ظلما على السكان الأهالي وهذا إن دلى على شيء فإنما يدل على احترام فرعون لأراء "كامي" حتى أنه يجد له مبررات، لاويبدو لنا بأن ألبير كامي قد حدد موقفه و ذلك في خطبة ألقاها عندما ذكر بأنه يؤمن بالعدالة إلا أنه يدافع عن أمه قبل أن يدافع عن العدالة حتى أنه لم يستطع لجزائريون أن ينسوا هذا الموقف الذي أدانوه بقوة رغم تقديرهم لقيمة أعمال كامي الأدبية ويبدو لنا بأن فرعون لم يعر هذا الخطاب أي

<sup>1</sup> تشارل رولو - كامو الرجل الطيب، ترجمة ماهر بطوطي، مجلة الآداب العدد 21 - بيروت، لبنان 1963 سنة، ص 47

أهمية، فقد سارع إلى تهنئة صديقه "كامي" وأبقى هذا الأمر سراً ربما لأنه علم بأن إتخاذ "كامي" لهذا الموقف قد ينزع عنه التقدير الذي كان يُكنه له أهالي الجزائريين.

### - ألبير كامي:

كانت الكتابة الروائية بالنسبة "لكامي" بأن الجزائريون في نظره هم مستوطنون أما أهل الجزائر الحقيقيون فإنهم يسميهم عرب فكان يؤمن بالجزائر الاستعمار، ولا يتصور مستقبل للجزائر إلا في إطار الحضارة الفرنسية كان يعارض الحركة الوطنية الجزائرية الداعية إلى التحرر من الهيمنة الفرنسية و العودة إلى إطار الحضارة العربية الإسلامية أثار ألبير كامي موطنه الأصلي الجزائر الكثير من النقاش فقد هجم هجوماً شديداً لقوله بأن الجزائر ليست فقط بلداً مسلماً بل أكد ضرورة عدم الاستسلام أمام المتعصبين و في النهاية كان ضرورياً بالنسبة للجزائريين و الفرنسيين العيش معا بسلام تأكيداً من كامي على وحدة الشعبين في السراء والضراء وفي أعماله " السقطة " " المقصلة "، " الإنسان المتمرد " الموت السعيد ".

### ملخص رواية الطاعون

رواية الطاعون التي تحكي عن تلك المدينة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي يصيبها الموت الأسود (الطاعون) فيأتي على الأخضر واليابس ويقتل القوي والضعيف، الطفل والشيوخ ليعود بطل الرواية إلى طبائعهم الإنسانية الأولى بعيداً عن الاحتلال وحسابات القوي والضعيف فالكل أمام الطاعون الواحد، الرواية ذات بعد فلسفي إنساني ترجمت رواية الطاعون إلى العديداً من اللغات العالمية ولا غرابة في أنها عدها البعض الدارسين من أهم وأجود الروايات نشرت منذ الحرب العالمية الثانية، تجري أحداث الرواية في مدينة وهران الجزائرية وضواحيها في فترة الأربعينيات من القرن الماضي وهي تصور المدينة عندما دهمها مرض الطاعون الذي يمثل هجمة الشر الأسود القاتل فيغير ملامح الحياة ومشاعر البشر وينشر الآلام في كل مكان، آلام المرض، آلام الفرق (بموت الأهل والأحبة وآلم العجز وآلم اليأس).

## - إيمانويل روبلس:

- ينتمي إيمانويل روبلس "emmanuel robles" إلى الجيل الثاني من الكتاب الأوروبيين المولودين بشمال إفريقيا ولد بتاريخ 8 ماي 1914 في مدينة وهران ينتمي إلى عائلة بسيطة من أصل إسباني، بمدرسة المعلمين بوزريعة، في مدينة الجزائر، هناك التقى أول مرة بمولود فرعون، كانت تربط بينهما علاقة، كان مجرد زميلين والذي يكن له التقدير وأصل كل منهما طريقة وانقطعت الصلة بينهما لم تمكن روبلس من أن يصبح كاتباً روائياً ومسرحياً مشهوراً.

ومن أشهر أعماله الأدبية التي نشرها في هذه الفترة روايتي "الفعل" 1938 و "أعالي الجبال" "les hanteurs de la ville" 1948، ومسرحية "مون سيراً" سنة 1949.

كان روبلس<sup>1</sup> ينتمي إلى التيار الأدبي الذي أطلق على نفسه اسم "مدرسة الجزائر" والتي من أشهر أعضائها "ألبيير كامبي" الذي كانت تربطه بروبلس صداقة قديمة، كانت هذه المدرسة تهدف إلى خلق أعمال حقيقية تختلف مضامينها عن الأعمال الغرامية التي كانت سائدة في الساحة الأدبية قبل تأسيس المدرسة كما نشير إلى روبلس يعتبر محله forge التي تأسست في نهاية 1946 والتي كانت تنادي بتحقيق المساواة بين الفرنسيين والأهالي رغم الفروق الكبيرة بينهما لذلك "خص فيها مجالات لنشر مقالات كتبها كتاب من الأهالي المسلمين سواء كانوا عرباً أو بربراً"، بعد مضي أربع عشر سنة تخرج فرعون من المدرسة المعلمين ثم التقى بروبلس أثناء زيارته لمنطقة القبائل، سرعان ما توطدت العلاقة بينهما، وقام روبلس بزيارة روبلس بزيارة فرعون في قريته، وكان يرافقه إلى الأماكن العامة و قد حاول روبلس التأقلم مع العادات والتقاليد القبائلية.<sup>2</sup>

ويمكننا القول بأن "روبلس" كان أول من شجع فرعون على الكتابة الأدبية إذ يذكر فرعون بأنه كان يفكر بإقناع روبلس بكتابة رواية قبائلية وعندما أخبره بفكرته قال له هذه مهمتك أنت وبأن الجميع يريد أن يسمع صوته لذلك يجب عليه أن يبدأ العمل وقام بإقتراح عليه مواضيع مختلفة.

<sup>1</sup> إيمانويل روبلس (1914-1995) بوهران هو كاتب فرنسي روائي و كاتب مسرحي أهم رواياته الفعل، و أعالي الجبال.

<sup>2</sup> Mouloud feroun، lettres a ses amis ،edit par seuil، 1969، p 69 .

ويبدو لنا أن روبلس قد احتل مكانة خاصة عند صديقه فرعون الذي يستشيريه في أمور خاصة و كان يطلب رأيه في أمور مختلفة، حتى إن فرعون طلب منه أن يتصرف نيابة عنه إن لزم فكان معجب بصديقه أشد الإعجاب، وهكذا أعطى روبلس كل ما لديه لأعماله الأدبية التي ما هي إلا صرخة روح ترفض الكراهية والكذب، وترى الأحداث الدامية التي ميزت سنوات الحرب التحرير المجيدة، كتب مولود فرعون يومياته كان فرعون يعتبر روبلس كاتم لأسراره وثقته به كانت عمياء، حتى إن اندلاع الثورة وما تبعها من انقسام الأهالي والأوربيين مواليد الجزائر إلى طرفين متنازعين لم يؤثر انطلاقاً على هذه الصداقة القوية التي ربطت بينهما - فالنسبة إليهما أهم شيء في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم هو إنقاذ الإنسان عن طريق انتزاعه من الوحدة والظلم والجهل والاستغلال.

ولا بد أن نشير إلى أن "روبلس" فقد تهدف في هذه الفترة ابنه المدعو "بول" حادثة أليمة وكانت وفاته مفاجئة عند ما رحل نهائياً من الجزائر ثم استقر بفرنسا بالإضافة إلى أنه لم يتصور أبداً أن بإمكانه الاندماج في الجزائر عربية مسلمة ومستقلة، لم يكن كفيلاً ليقطع الصلة مع فرعون و كونوا على تواصل وكتب فرعون رسالة يوصي فيها "روبلس" عن عائلته وأعماله.

وعند اغتيال فرعون كانت صدمة لروبلس، بينما قام روبلس بنشر الأعمال الأدبية التي لم ينشرها صديقه في حياته نشر "يومياته" في 1962 تم "رسالة إلى أصدقائه" و"عيد الميلاد".<sup>1</sup>

وفعله هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان حريصاً على أن يعرف الكل بأن "مولود فرعون" بعد التزامه الصمت اتجاه القضية الوطنية فترة طويلة، فقد نظم في أعوامه الأخيرة إلى صف المطالبة بالحرية و الاستقلال لوطنه الجزائر، وهذا بعد أن تمكن من التخلي عن المبادئ التي غرستها في نفسه المدرسة الفرنسية، وهكذا أخذ فرعون مكانه الطبيعي بين أبناء وطنه بعد أن أعيد دمج بعد الاستقلال.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Jean Déjeux, la littérature algérienne contemporaine «presse universitaires de français» France 1975, 1<sup>er</sup> editions p 48.

<sup>2</sup> المرجع السابق ص 50

- إيزابيل إبيرهاردت:

ولدت إبيرهاردت<sup>1</sup> في جنيف ونوفيت في الجزائر التي عاشت فيها جانبا من حياتها، مخلفة عددا من الأعمال الأدبية التي تغطي عليها السيرة الذاتية، وتظهر فيها مناصرتها للشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي، حيث نقلت يوميات الجزائريين بعيدا عن الصورة النمطية الاستشراقية "قدمت صورة عن الجزائر مختلفة عن غرائبية الأدب الفرنسي"، ويتجلى ذلك في مؤلفاتها العديدة التي جمعت ونشرت بعد وفاتها مثل "الظل الدافئ للإسلام"، و"ملاحظات على الطريق" و"صفحات إسلامية" و"المتشرد" وفي "بلاد الرمال"، "يومياتي وكتابات حميمية"، "رسائل ويوميات"، "كتابات على الرمل" و"ياسمينه".

يقول عمير "تمزج نصوصها بين التحقيق الصحفي والقصة التوثيقية، توظف المفردات العربية الفصيحة والدرجة الجزائرية تاركة للقارئ الغربي حرية الولوج إلى المعاني خلال السياقات النصية"، ويضيف "تقدم كتاباتها شهادات حية عن تفاصيل الواقع المعيشي للجزائريين ومن ثم فإن إعادة قراءة أعمالها وترجمتها إلى العربية، وبشأنه أن يميظ للتام على الجوانب الحقيقية من نضال الجزائريين خلال الفترة التاريخية مجسدا في أعمال، (غي دوموباسان)، وأندري جيد وغيرهما التي ركزت على تصوير عادات و تقاليد البالية للشعب نفشت فيه الأمية بنسبة كبيرة بسبب السياسات الاستعمارية.

كانت حياتها قصيرة حافلة بالمغامرات الوجدانية والترحال عبر صحراء مجهولة بالنسبة إليها، هناك عاشت معاناة الجزائريين وشاركتهم نضالهم ودينهم، يغلب على القصص اهتمامها بتفاصيل الحياة اليومية في الجزائر وتركيزها على معاناة المرأة وآلامها النفسية جراء التقاليد والظروف الاجتماعية، تنعكس شخصيتها في النصوص المتسمة بالمغامرة والتمرد على الواقع اللافت أيضا هو تناولها لتيمة الصحراء.<sup>2</sup>

يقول المترجم " قضت إيزابيل معظم وقتها في الكثبان الرملية، وقد قطعت الصحراء الجزائرية شرقا وغربا، على حصان أو سيرا على الأقدام هكذا تحضر نصوصها كمكان وكحالة وكميلاد آخر"، الكتابة التي تثير الجدل حول نسبها الحقيقي، وزعم البعض أنها ابنة

<sup>1</sup> إيزابيل إبيرهاردت: (1877-1904) مستكشفة و كاتبة سويسرية من أعمالها أخبار الجزائر، عقال النهار.

<sup>2</sup> أطلع عليه يوم الثلاثاء 24 / 4 / 2018 على الساعة 22:10 ، <http://www.alarab.Co.uk>

غير شرعية للشاعر " أرتور رامبو " قررت نمط حياتها منذ أن أقدمها رمال الصحراء الجزائرية رغم معرفتها بأنها محفوفة بالخطر.

كتبت مرة "أنا التي لم يكتفي أبدا العيش الرغيد داخل المدينة الأوروبية سأحقق مشروعا جريئا، وهو أن أرحل إلى الصحراء وأبحث عن السلام وعن المغامرة في أن معا أشياء تتلاءم والغرابية طبعي "، شكلت الديبة الفرنسية "إيزابيل إيبرهاردت" حالة إقتران جميلة بين الصوفية الشرقية والغربي المتلف لوعود الكشف الروحاني ما يجعل قصصها جسورا ناعمة بين حضارتين متعاركتين، ومن أعصارها الأنثوي دوامة تتدفق الحياة من عمقها بلا انتهاء إذن الوسط الفكري متعدد الثقافة في فرنسا بولادة الكاتبة مغامرة ثائرة، إرتدت ملابس الرجال ورافقت رحلات الاستيطان إلى الجزائر فأحبت الأرض الوحشية بكل جوارحها كتبت لها وعنها والتحمت بروحها مع كل تفاصيل حياة شعبيها وطقوس عيشه وانغماسها في تحليل الحياة الإنسانية، دفعها لإدانة التمييز التي تفرضه الشؤون السياسية والاقتصادية الجديدة وسلب المخزي للسكان الأصليين كان لها شغف لاكتشاف المجهول، جعلت منها أول امرأة مراسلة حرب في نهاية القرن التاسع عشر، تعتبر أعمالها وشخصياتها الأسطورية المميزة، تعبر أعمالها وثائق شاهدة على العصر وعلى فترة مهمة من تاريخ الجزائر.<sup>1</sup>

ورصد قصص المجموعة المنشورة تحت عنوان " ياسمينه " ترجمة " حسن الدواس " اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت 2012، كان ميل إيبرهاردت إلى حالات الإحساس بالوحدة التي تمهد لنشوء مولد جديد، فهي غريمة يستسلم المتشرد إلى نار السكينة اللامتناهية لينام وحيدا مجهولا بين أناس بسطاء، مكان مجهول في الصحراء بينما تضيف "نجيب اللوز" إلى نشوء الوحدة الغربية عبء الشيخوخة المتهالكة في انتظار ساعة الرحيل.

<sup>1</sup>المرجع السابق.



## - ملخص قصة ياسمينة:

في قصة ياسمينة تصطدم رقة الشعور بالجمود الحضاري، معلنة سوء التصريف الحياتي في ظلمات الأقدار، فياسمينة البدوية التي تترعرع في وسط طليلي جنائزي منحها فيضا من القدرية والحلم تلتقي في ربيعها الرابع عشر، بملازم فرنسي شاب ذي روح مغامرة وحالمة، يرى كل شيء فيها مطبوعا بسحر يكاد يكون صوفيا، فراغ فؤاده الخارج للتوه من دائرة الغموض البهيج للمراهقة، حياة بعيدة عن مسقطه يقذفانه نحو المجهول لمربك لهذه المغامرة البدوية، فيحبها لكل العفوان الطافح للحب الأول، لرجل يمتزج عنده حب الجسد بالروح، ويضفي عليه شكل الحنان الحقيقي، يقترن اللقاء الجسدي باستنارة روحية حادة تخرجهما من عوالم الظلام، بيد أن ما يحبه الملازم في ياسمينة هو الكائن الخارج من مخيلته، وغير مشابه للواقع والحقيقة، لذلك يسهل عليه نسيانها حين ينتقل إلى مكان آخر مؤثرا المنصب والأشياء الأوروبية، ولا يمكن لياسمينة أن تفهمها لأن ذهنيتهما البسيطة الجاهلة، حيث تنام بعمق القوة الحية، ولم تبدأ بإعمال فكرها إلا بعدما أحبت تبقى في انتظاره مدة خمس سنوات، ويرمي لها نقوده ويمضي لم يفهم كيف كان الشكل الأول والذي اقترن بالعقل المعاصر، تمننت عندئذ أن تراه ميتا كي تعيش ثانية ساعات الماضي الغامرة بالوجد والسحر وساعات النشوة والحب.

## المبحث الثالث: علاقة الأدب الجزائري بالأدب الكولونيالي :

يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب حديث النشأة، فقد اقترن بظهور حرب الإبادة التي عرفتها الجزائر خلال القرن اثنين وثلاثين سنة تقريبا والذي يؤرخ له الباحث الفرنسي "جان دي جو" باعتبار تاريخ ظهور أول نص أدبي جزائري باللغة الفرنسية، لكن الشيء الذي أثار العديد من التساؤلات هو التأخر الكبير لظهور هذا الأدب مقارنة بتاريخ الاحتلال فهي فترة تقارب تسعين عاما فترة زمنية سادها الفراغ الأدبي.

دخلت فرنسا إلى الجزائر بحجة تخليصها من مظاهر الجهل والتخلف ونشر قيم الحضارة والتطور، انتهجت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر سياسة عدائية صارمة محاولة بذلك طمس الهوية القومية بمختلف أشكالها وقد ظهر ذلك جليا في غلق المساجد والزوايا وتضييق الحصر على تعلم اللغة العربية، مما رفع نسبة الجهل والامية، وبالإضافة إلى سياسة الاستعمار التي كانت تمنع الأهالي من التعبير عن آرائهم، كل هذه الأسباب حالت دون أي تلاقح فكري أو حضاري وبالتالي غياب الإنتاج الروائي الجزائري كل هذه المدة.<sup>1</sup> انتظر الجزائريون إلى غاية العشرينات من القرن العشرين و هو التاريخ الذي حمل بعض الحراك الأدبي حيث ظهرت رواية " أحمد بن مصطفى القومي "لمؤلفها القايد بن شريف كأول رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية وتليها رواية "زهراء زوجة المنجمي" لمؤلفها عبد القادر الحاج حمو في 1925 وغيرها من الروايات التي يمكن أن نعتبر كتابها أولئك الذين كانوا على اتصال بالفرنسيين، فلا نستغرب أنهم نظروا إلى مجتمعهم من وجهة نظر أوروبية مقدمين بذلك إنتاجا محليا بمعنى الإزدرائي للكلمة.<sup>2</sup>

قد جاءت هذه الأعمال بعدما طرأ على السياسة الاستعمارية من تغيير في ظل التحضيرات الخاصة للاستعمار، فكان من الطبيعي أن تكتب هذه الفئة باللغة الفرنسية باعتبارها خريجة المدرسة الفرنسية وأيضا توجه أعمالها إلى الفرنسيين فالجزائر آنذاك كانت غارقة في مشاكل الحياتية لذا كانت كتاباتهم نتيجة منطقية للظروف التي عاشها الروائيون آنذاك، والذين كانوا يمثلون تلك الفئة التي حاولت أن تندرج في المجتمع الفرنسي

<sup>1</sup> أحمد منور - الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، المرجع السابق ص 87

<sup>2</sup> عابدة بامية - تطور الأدب القصصي الجزائري، المرجع السابق ص 53

رغم أنها كانت تحس بالمنفى وهذا ما جعل معظم لا يقدم على غرار المنفيين الحقيقيين "ثقافة وقضية كما هي في الواقع وإنما كما يجب أن يراها الآخر الأوروبي وكما يوحي له"، فالأعمال التي كتبت في هذه الفترة كانت تعرض على دور النشر الفرنسية والتي لا يمكن أن تنشر أعمالا تخالف السياسة الاستعمارية في الجزائر وهذا ما "يفسر لماذا لا تعبر الفترة المبكرة الأولى ممثلة لبداية الأدب الجزائري الحقيقي" حيث أن هذه الأعمال لم تنغمس في الواقع الاجتماعي الجزائري.<sup>1</sup>

فقد ظلت الأعمال لا تمثل بحق أدبا جزائريا أصيلا فهي كتابات لم تعكس قضايا ومشاكل المجتمع الجزائري ولا عكس الشعور بالألم والقهر الذي كبده الجزائريون في تلك الفترة الصعبة وهذا أرجع إلى أن هذه الموجة من الكتاب متوجهة إلى الآخر تريد أن تشعره بأن الأنتلجنسيا الأدبية الأهلية قادرة على الكتابة التي هي ظاهرة حضارية، فهؤلاء الكتاب أرادوا من خلال كتاباتهم أن يبرهنوا لفرنسا أنهم تلميذتها النجباء الأوفياء، والدليل على ذلك تطرقهم لقضايا ومشاكل مجتمعهم مثلا رواية "العلاج أسير البرابرة" لشكري خوجة عام 1929، بولنوار لرابح زناتي 1941 - ليلي فتاة جزائرية "جميلة ديباش" التي تطرقت لزواج المختلط.<sup>2</sup>

وبالنظر إلى هذه الاعتبارات يكون الأدب الجزائري الأصيل الذي عايش معاناة الجزائريين فعبر عن همومهم وآلامهم وتضامن من قلبا وقالبا مع الوطن قد بدأ مع فترة الخمسينيات حسب الدراسات والأبحاث، فقد كانت مجازر 8 ماي 1945 منعظا حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لأنها أكدت بصورة واضحة لجزائريين أهداف فرنسا الأمر الذي أعطى دافعا قويا ومحفزا والإفاقة من الغيبوبة التي دامت أكثر من قرن فتنامي الحس الوطني لدى الكتاب وما لبثوا أن بدعوا في التعبير عن واقعهم وعن تنديدهم بالأوضاع التي آل إليها المجتمع الجزائري و بالضبط سنة 1950 "حيث نشر مولود فرعون الرواية الأولى لابن الفقير" والتي تعكس حالة الفقر والحرمان التي يتخبط فيه الجزائريون، ظهرت بعد ذلك في سنة 1952 روايات في غاية الأهمية الأولى "المولود

<sup>1</sup> أحمد منور - الأدب الجزائري باللسان لفرنسي، المرجع السابق، ص 94 - 98

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 102.

معمرى" بعنوان "الهضبة المنسية" والثانية "لمجد ديب" بعنوان "الدار الكبيرة" وتتابع بعدها صدور أعمال روائية أخرى للكاتب ياسين وأسيا جبار، مالك حداد، وبذلك كانت هذه فترة الخمسينيات منعرجا حقيقيا في مسار الرواية المكتوبة بالفرنسية التي أصبحت أكثر نضجا ووعيا بالواقع المعاش وقد صرّح "مولود معمرى" مجيبا على التساؤلات حول سبب الغياب والتأخير" خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين ف شعرنا على إثرها بتهيب والابتهاج وأن خروجنا من المأزق الممكن فخرجنا منه بالكتابة قبل الخروج منه في الواقع. فالحرب العالمية الثانية هي الأخرى كانت عاملا أساسيا أكسب الجزائريين خبرة عبرة تعلموا من خلالها أن المواجهة سواء بالسلاح أو القلم هي سبيل للخروج من هيمنة الاستعمار وقد استمرت إبداعات الرواية للكاتب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية طيلة فترة الاستعمار إلى غاية الاستقلال فأصبحت الرواية أعمق غوصا في الحياة طبقات الدنيا من المجتمع الجزائري بفعل انتماء الروائيين وحسهم الوطني، فكلما اشتدت نيران الثورة كلما زادت معاناة الشعب وآلامه وزادت كتابات الأدباء جمالا ورقيا فقد اتسع ليأخذ أبعادا أكثر شمولية باعتبارها الصوت الموجه لفرنسا.<sup>1</sup>

ولم يقف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية عند هذا الحد بل واصل تطوره عقب الاستقلال وكان امتدادا لما قبله بحيث عبرت روايات الستينيات في معظمها عن واقع الثورة وذلك بتصوير عمليات المقاومة، وفي عالم الأطفال الجديد لأسيا جبار والتحدث عن الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون وفي "أصابع النهار" لحبيب بوزاهر فهذه الأعمال قد انحازت للثورة وتغذت بما حققه الشعب بعد جهد مرير، لكن في المقابل هناك من توقف عن الكتابة مثل "مالك حداد" والكثير منه قلّ إنتاجهم بعد الاستقلال وبعضهم الآخر بقي بنفس الحماسة ونشاطه كما ظهر روائيون جدد باللغة الفرنسية على رأسهم "رشيد بوجدره" و"ياسمينه خضرة" التي ظهر مؤخرا.<sup>2</sup>

اتخذت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بعد منتصف الستينيات توجهها جديدا في ظل مرحلة جديدة عرفت بمرحلة التشييد والبناء غلبت على هذا الاتجاه النزعة الانتقادية لسياسة

<sup>1</sup> عابدة بامية - تطور الأدب القصصي الجزائري، المرجع السابق ص 25 .  
<sup>2</sup> واسيني الأعرج - اتجاهات الرواية العربية في الجزائر - المرجع السابق ص 76 .

البلاد إثر الفوضى العارمة بسبب الصراع على السلطة فنجد " رقصة ملك " لمحمد ديب، و"المؤذن" لمراد بربون وضربة شمس " لرشيد بوجدره وغيرها من الكتابات التي اشتركت في نقدها اللادع للجو البيروقراطي الذي ميّز البلاد مع اختلاف الطرق الفنية لكل كاتب، وقد استمر الأدب الجزائري باللغة الفرنسية بأخذ موضوعاته من الواقع فيرصد مختلف التحولات التي تطرأ على البلاد إلى يومنا هذا، وتبقى الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية مكسبا هاما للأدب الجزائري رغم الاختلافات القائمة حول انتمائيتها وهويتها فهي تبقى أدبا التحم بالواقع الجزائري وبالشعب فعبر له وساهم سواء من قريب أو بعيد في تحرير الوطن وإيصال القضية الجزائرية إلى الهيئات الدولية، فتجاهل هذا الأدب إجحاف في حق حامله الذين تشبعوا بالثقافة الغربية إلا أنهم بقوا أوفياء للوطن الذي أنجبهم.<sup>1</sup>

### 1 - مؤثرات الأدب الكولونيالي على الأدب الجزائري:

مرت الجزائر بظروف استعمارية قاسية من احتلالها من 1830 - 1962، كان للاحتلال الفرنسي تأثير كبير على الحياة بمختلف ميادينها وعلى الحياة الأدبية بصفة خاصة ولأن الاحتلال الفرنسي للجزائر كان غزوا استيطانيا بهدف التغلغل في أرض الجزائر واحتلالها احتلالا شاملا ودائما لم يكتفي منه الغزاة بالسيطرة على أراضيها ونهب خيراتها وإذلال أهلها فحسب، وإنما يذهبون فيه إلى أبعد من ذلك بالنيل من الأسس المعنوية ومميزات الحضارية للشعب الجزائري والطعن في عقيدته وتشويه قيم تراثه وطمس معالم شخصية وكان للاستعمار الفرنسي أثر كبير على المجتمع الجزائري بنواحيه المختلفة حيث لجأ هذا المستعمر إلى عزل الجزائر عن محيطها الثقافي والحضاري وإحاقها بالدولة المحتلة وجعلها مقاطعة فرنسية، مطبقا سياسة الاستيطان على نطاق واسع وبخلاف أشكال الاستعمار الأخرى مثل الحماية والوصاية والانتداب فإن الاستعمار الاستيطاني يعد أخطر أنواع الاستعمار لأنه يقوم على اغتصاب الأرض والإبادة والقتل وقد سعت فرنسا إلى إغراق الشعب الجزائري في دوامة الفقر والجوع والفقر إضافة إلى سياسة التقتيل الجماعي التي طبعت واقع الجزائريين على غرار مجازر 8 ماي 1945.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق ص 76-78

<sup>2</sup> طيب بودريالة - صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، المرجع السابق، ص 07

انطلاقاً من الواقع المرير تشكل الدب الجزائري الراض للاستعمار والناضج لسياسة التعسفية ضد الشعب الذي ظل يدافع عن أرضه وعرضه، بدأ ذلك مع الكتاب الإصلاحيين مثل جمعية علماء المسلمين على رأسهم عبد الحميد بن باديس، بشير إبراهيمي، العربي التبسي وصولاً إلى معركة أدبية من بعدهم.<sup>1</sup>

لقد ربط الكثير من الروائيين الجزائريين في نصوصهم بينما حدث أثناء الثورة وما كان يحدث بعد نيل الاستقلال كل من وجهة نظره حيث تنعكس صورة الثورة الجزائرية في الخطاب الروائي من خلال بطولات المجاهدين والمسلمين، لتخلق حركة داخل مسارات السلم وتضفي على النص جمالية خاصة كما نلاحظ أن النصوص الروائية تناولت الثورة بطريقة أو بأخرى أنها تصف تلك المشاهد الحية للثورة و هي مشاهد تعبر عن لحظة زمنية ستبقى حاضرة في الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية لأنها تمس جزء من تاريخها النضالي المشرف.<sup>2</sup>

لقد كان للاستعمار الفرنسي أثر كبير على المجتمع الجزائري بصفة عامة وعلى المبدعين بصفة خاصة مما أدى إلى تضيق الخناق على الأدباء الجزائريين آنذاك، وبفعل المناخ العام الذي كانوا يعيشون فيه وعلى الرغم من ذلك تفاعل الروائيون الجزائريون مع محيطهم وكانوا شهوداً، إن الحصار الذي كان مفروضاً على اللغة العربية دفع الروائيين الجزائريين إلى اللغة الفرنسية للتعبير عن ذواتهم ومعالجة بعض قضايا المجتمع الجزائري فكانت اللغة الفرنسية سبيلاً لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على اللغة العربية بصفاتها اللغة الأم، ولأن اللغة تعتبر الجزء الأهم من مقومات هوية الأمة فقد استعملت فرنسا أساليب للقضاء على اللغة العربية فقد كان غزو فرنسا للجزائر، ومن هنا كانت الانطلاقة الفعلية للرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي طرحت القضية الوطنية وإسقاط معاناة الشعب الجزائري من ويلات المستعمر الغاشم كان على منتجي الرواية باللغة الفرنسية وفي ظل هذه المساحة بدأ إعلان عن نص روائي جديد يبشر

<sup>1</sup> أمينة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف الأمل، مطبعة النشر والتوزيع، تيزي وزو،

الجزائر، ط 2 سنة 2011 ص 52 - 53

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 53 - 54

بإنسان جديد و بعقل جديد قلب موازين البطولة الروائية وإن كان الآخر (الفرنسي) هو المركز في الرواية الاستعمارية ( الأنا ) أي الأهلي هو الهامش وفي النص الجديد يولد إنسان جديد.<sup>1</sup>

وتميز إنتاج هؤلاء الروائيين بالواقعية النقدية للواقع ومعاناة مجتمعهم وتسليط الضوء على أساليب عيشه ونذكر هؤلاء الكتاب: (الكاتب ياسين، مولود معمري، مولود فرعون، محمد ديب، مالك حداد ... الخ) يقول مالك حداد لقد أراد الاستعمار ذلك أن يكون عندي هذا النقص و أستطيع أن أعبر بلغتي و أصبحت الأزمة اللغوية، فهو يشعر بالعجز أمام قيود المستعمر كلما أراد أن يعبر عن آمال و طموحات الشعب الجزائري باللغة الفرنسية لكن في نفس الوقت هناك من يرى أن اللغة الفرنسية سلاح فتاك في يده وليس انتماء وثقافة فرنسية ومن هؤلاء " محمد ديب " الذي يقول " إن كل قوى الخلق والإبداع لكتابنا وفنانينا بوقوفها على خدمة إخوانهم المظلومين تجعل من الثقافة سلاحا من أسلحة المعركة ولأسباب عديدة فإن لي ككاتب همي الأول ضم صوتي لي صوت الجموع ".<sup>2</sup>

ينفق النقاد على أن الرواية المسماة الكولونيالية لم تبلغ مكانة الرواية الفرنسية، بل كانت ضعيفة الحبكة، يطرح أصحابها أفكار مسبقة نابغة تفوق الجنس الأوروبي و تخلف العربي يسيطر عليها رأي المؤلف وينعدم فيها التحليل الدقيق للشخصيات الروائية كما يبدوا جليا العنصر التعليمي فيها، وكان لزاما على بعض الجزائريين ممن أحسوا أنهم يمتلكون القدرة على التعبير بلغة المستعمر أن ينسجوا على نفس المنوال تلك الروايات السائدة في بيئتهم على سبيل التقليد، وبعضهم حاول إظهار براعته في ممارسة الكتابة باللغة الفرنسية هكذا نشر "أحمد بدوي" رواية متسلسلة في جريدة الحق وهي مسلمون ثم تبعه "القايد بن شريف"، ورواية القومي "أحمد بن مصطفى" وأيضا العليج أسير البرابرة لشكري خوجة،

<sup>1</sup> نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والثورة التحريرية، صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر العدد 7، عام 2011 ص 222

<sup>2</sup> محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، المرجع السابق ص 89

أما الروايات ما بين الحربين العالميتين فليس لها ما يميزها من الناحية الفنية و منها رواية " عيسى الزهار " لمحمد سيفي 1945، " و ليلي " لجميلة ديباش 1947.<sup>1</sup>

ومع مطلع الخمسينيات تغيرت اهتمامات المثقفين والسياسيين وبدأت تلوح في الأفق ودوائر الاحتجاج والثورة وإثبات الذات كانت أول محاولة لمولود فرعون 1913 - 1962 من خلال رواياته "نحل الفقير" 1950 التي تصور معاناة الطبقات الفقيرة في المجتمع الجزائري وتتبعها الأرض والدم 1953 ويظهر محمد ديب من خلال عمله المميز الدار الكبيرة ثم الحريق ثم يقابلها مولود معمري بعملين هما الربوة المنسية 1953 وإغفاءة عادل 1957 ثم نجد روائي آخر ظهر على الساحة الأدبية هو مالك حداد برواياته "الانطباع الأخير" 1957، بينما نجد صوتا نسويا فريدا بفرض نفسه من خلال رواية العطش سنة 1957، إذ تمكنت الرواية الكولونيالية من بلوغ درجة عالية من العمق مع الروائيين المشهورين أمثال " إيمانويل روبلس " بأعماله "مرتفعات المدينة " وكذلك ألبير كامى من خلال أعماله الخالدة " الغريب " 1942 و الطاعون 1957، فقد التقى كل من محمد ديب وكامى وإيمانويل روبلس سنة 1948 واتفقوا على إنشاء مجلة الكراسات الأدبية، والتقى مولود فرعون بإيمانويل روبلس ببوزريعة بالجزائر العاصمة وهو يشجعه على الكتابة و من ناحية أخرى فإن الرواية تطورت في أوروبا وخاصة فرنسا و كان لها تأثير خاص على الكتاب الرواية في العالم فقد مزج كل من أرنست هيمغواي لمن تفرع له الأجراس.<sup>2</sup>

## (2) - حضور الأدب الكولونيالي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية:

سجلت الرواية حضورا قويا في تلك الفترة فكانت أكثر الأجناس الأدبية بروزا وانتشارا لكونها الوعاء الذي يحتوي القضية الجزائرية بكل معالمها وأبعادها حيث وُجد فيها الأديب الجزائري بشكل ملائم للتعبير عن قضية شعبه ووطنه وألامه في تحقيق الحرية والاستقلال لتشكل ثورة بذلك نقطة تحول أساسية في مسيرة التجربة الروائية الجزائرية حيث أصبح الحديث عن الأدب الكولونيالي والنهل منها مطلبا ضروريا في الكتابة الروائية، سواء سرد بطولاتها أو بتشكيلها، حتى وإن شكلت توجهات تنتقد منطقتها ونتائجها

<sup>1</sup> محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، المرجع السابق ص90 - 91.

<sup>2</sup> نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والثورة التحريرية، المرجع السابق، ص223



وتطعن في إنجازات بعض القائمين بها فإنها تجسد تصور البطل النموذجي وصناعة الوعي ذلك لأن التعامل مع الثورة بالسطحية والمثالية كما كان هناك إستغلال إبداعي للثورة لإعادة إنتاج الأحداث والمواقف تستمد مرجعيتها من التاريخ، ولأن الرواية عمل تخيلي يوهم بالواقع ولا يعكسه وهكذا تمحورت موضوعات الرواية الجزائرية في مجملها حول حياة الشعب الجزائري بمختلف فئاته وطبقاته وموقفه من الأدب الكولونيالي، كما شهدت هذه الفترة أيضا ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي أسسها جماعة من المثقفين الجزائريين خريجي مدارس فرنسية حاول التعبير عن القضية الوطنية باللغة الفرنسية لغة المستعمر وتتبع الحركة الإبداعية في الجزائر يجد نفسه أما الكثير من التجليات العميقة لمرادفات الإبداع الروائي على مستوى الكتابة واللغة في حد ذاتها، تأسست الرواية المكتوبة بالفرنسية على أبعاد وأفاق فهي تجد تجربة فريدة من نوعها مرّت بمراحل هامة ساعدت في بلورة هذا الأدب بشكل عام و هذا ما ناقشه (أحمد المنور) في كتابه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي الذي حدد أربع مراحل هامة أسهمت في معظم التطورات التي عرفها هذا الأدب هي المرحلة الأولى ما بين الحربين والمرحلة الثانية ما بين الحرب العالمية الثانية، والمرحلة الثالثة الثورة، المرحلة الرابعة الإستقلال.<sup>1</sup>

تمتد جذور الكتابة الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث كان التعليم باللغة الفرنسية إجباريا مفروضا فرفض الجزائريون تعلمها في البداية لأنها لغة المحتل المستعمر لكنها أبهرت بعض المثقفين الجزائريين، وإعجابهم بها دفعهم للتعلم والسعي لإتقانها وأصبحت تمثل طريقة جديدة أو أسلوب جديد في الكتابة، ظهر هذا النوع من الكتابة الروائية ردا على بعض الروائيين الفرنسيين اللذين حاولوا تزييف حقيقة الوضع في الجزائر حيث جعلوا منه رقعة جغرافية أبهرت الفرنسيين فقرروا القوم إليها لذلك حاول الأدباء نقل الصورة الحقيقية للواقع الجزائري آنذاك بلغة يقرؤها ويفهمها الآخر والعالم ككل و سعوا إلى تحسين صورة الجزائري خلال المراحل الأولى من الإستعمار

<sup>1</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، دار الأفاق الجديدة، ط2، سنة 1979، ص54

تكشف رغبات المحتل الدفينة ومكبواته، وذلك لتعرض الجزائريين لسياسة القمع والقهر والدمار الذي مارسه فرنسا في الجزائر بفضل أعمال هؤلاء الأدباء الجزائريين الذين حاولوا مواجهة لغة المستعمر وكان سبيلهم لمحادثة الطرف الآخر خاصة في ضل القيود التي فرضها المستعمر على اللغة العربية بصفتها اللغة الأم ولأن اللغة تشكل جزء من الهوية، فقد إستعملت فرنسا كل الأساليب للقضاء على العربية و بالتالي طمس معالم الهوية الجزائرية التي فرضها الشعب الجزائري والمثقف الجزائري خصوصا<sup>1</sup>

إن أدب ما بعد الكولونيالية لا يتعامل مع الهوية جوهرًا ثابتًا، أو الماهية المكتملة على جوهر الإنسان، بل الحقيقة متبدلة ومصنوعة لأدوات ومواد خام للواقع والتاريخ، أي على أيدي البشر وبارادته وإن مفارقة الهوية التي مصدرها البناء المتعدد إلى أمكنة وأعراق وثقافات المترشحة عن تجربة ذات أوجه متنوعة تتسلسل إلى نسج عمل أدبي المعروف بأدب الكولونيالي وبذلك يحدث بعثرة بدلا من التماسك والإنفتاح على إمكانات الحياة بدلا من العزلة وهذا ما إنعكس على المعنى الأدبي وأتيح له فرصة التعامل مع النصوص ما بعد الإستعمار بما تحمله من تجليات مكشوفة تتطلب الكشف كما يقول (عبد الله الغدامي) فهناك إزدواج دلالي ذو إتجاهين أحدهما واع وأقل تأثير والأخر عميق ومضمر وأكثر تأثيرا بحيث الهوية في الكتابة ما بعد الكولونيالية هي مناقشة للعملية التي يهتم بها وتحريف الكتابة وإبعادها على الثقافة الأوروبية المهيمنة، وهي العملية التي يتم بها أخذ اللغة وتهيتها لكل ما تحمله، وبالتالي نكون أمام لحظة حيوية لنزع الطابع الإستعماري من اللغة و الكتابة الأجنبية.

<sup>1</sup> أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتصوره وقضاياها المرجع السابق ، ص127/128

إن الإختلاف في أدب ما بعد الكولونيالية خطوة في إتجاه التوقع في ضمن مجال محدود بل إختراق كل مجال أو حد نحو الرحابة الحرة للإنسانية، تقبل التنوع والإختلاف وترفض التمسك بهويات ضعيفة وعدوانية عمياء، وهذا ما حاول إدوارد سعيد وعبد الله العروي بإعتبارهما منطري للفكر العربي لما بعد الكولونيالية بقوله أن الهوية العربية لا يوجد أي تعارض بينهما وبين هذه النظريات إقتنعنا فقط أن الهوية ليست جوهرًا ثابتًا أو ماهية مكتملة سابقة على وجود الإنسان بل حقيقة مصنوعة بأدوات ومواد الخام للواقع والتاريخ.

# خاتمة

- من خلال البحث والتقصي حول إشكالية الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية توصلنا إلى النتائج التالية :
- (1) الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من أهم المحاور التي عرفها الأدب الجزائري الحديث والمعاصر .
  - (2) تعتبر اللغة في الرواية الجزائرية إحدى مكونات الهوية يستعملها الأديب الجزائري للدفاع عن هوية وانتماء الجزائريين وإعادة اعتبار والوقوف في وجه المستعمر .
  - (3) الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدب فرضته المرحلة الاستعمارية وهو أدب انتقالي سيختفي وتزول آثاره بمجرد زوال بواعثه .
  - (4) يعتبر الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من أساسيات التي إرتكز عليها الأدب الجزائري مما شكّل عند الروائيون وعيا من خلاله نقلوا الصورة الحقيقية للأنا (الجزائري).
  - (5) تأكيد الكاتب محمد ديب أن الكتابة بالفرنسية سلاح للتعبير عن آلام الشعب وليس الإلتواء للثقافة الفرنسية .
  - (6) كانت الكتابات باللغة الفرنسية التي أنتجها الكتاب الجزائريين أمثال محمد ديب وأسيا جبار وغيرهم كثير موضع جد في بدايتها كما نجدهم لجأوا إلى اللغة الفرنسية لغة المستعمر نضرا للشهرة التي تحصلوا عليها من جرائها .
  - (7) منح الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بعدا إنسانيا وألوية خاصة لمسألة الوطنية والهوية الجزائري.
  - (8) مساهمة الفترة الكولونيالية في تطوّر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.
- كانت هذه من أهم النتائج التي توصلنا إليها لإبراز معالم وارتسامات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية .
- أمل أن يكون بحثنا هذا قد أفادكم ولو بالقليل.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية :

- 1- أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، سنة 2005.
- 2\_ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياها، دار التنوير، الجزائر، ط1، سنة 2013
- 3- أحمد منور، الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، الملتقى الدولي الثامن للرواية، عبد الحميد بن هدوقة، دراسات وإبداعات، مطبعة اقتياع للنشر، برج الكيفان، الجزائر
- 4- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطور وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة 2007.
- 5- أمينة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف الأمل، مطبعة النشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، سنة 2011.
- 6- ابن الرشد، تلخيص ما بعد الطبيعة، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مصر، ط1 سنة 1998.
- 7- بامية عايدة، تطور الأدب القصصي الجزائري، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط) 1982.
- 8- جبور أم الخير، الرواية الجزائرية الفرنسية، دار الميم للنشر، الجزائر، ط1، سنة 2013.
- 9- رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، سنة 1981.
- 10- سامي الدروبي، ترجمة من مقدمة الثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة، الحريق، النول) الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د.ط) سنة 1985.

- 11- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة المصرية، صيدا بيروت (د.ط) سنة 1967.
- 12- شرشار عبد القادر، الرواية البوليسية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق (د.ط) سنة 2003.
- 13- عبد الله الركبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى سنة 1986.
- 14- عبد الله الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، سنة 2009.
- 15- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (د.ط) 1998.
- 16- عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر (1925-1954) الجزائر ط2، سنة 1983.
- 17- فريحات عادل، مرايا الرواية، منشورات إتحاد الكتاب العرب (د.ط) سنة 2006.
- 18- كفاي محمد عبد السلام، في الأدب المقارن، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، سنة 1982.
- 19- ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، دار العربية للعلوم، بيروت، ط1، سنة 2010.
- 20- مالك حداد، الانطباع الأخير، الدار العربية للعلوم، ناشرون ط1، سنة 1958
- 21- محمد ديب، الدار الكبيرة ترجمة سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1968.
- 22- محمد شوقي الزين، الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، دار الأمان، الرباط، ط1، سنة 2012.



23- محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر (د.ط) سنة 2006.

24- مولود فرعون، الأرض والدم، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلافيف للنشر، بجاية، الجزائر (د.ط) سنة 2005.

25- نادية مصطفى، أسامة مجاهد، ماجدة إبراهيم، دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، ط1 سنة 2013.

26- نعيمة جهاد، في مشكلات السرد الروائي، قراءة خلافية، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق (د.ط) 2001.

27- واسيني الأعرج اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحثا في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1 سنة 1986.

28- وتار محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، سنة 2002

29- يماني العبد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، لبنان، (د ط) 1998.

### المجلات والجراند

1- أمين زاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مجلة دار الثقافة، العدد 8، فيفري 2004.

2- إيمان العامري، بحوث ودراسات إنسانية، العدد 10، 2015.

3- بشير مفتي، الكتابة الروائية والأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد 154، بتاريخ 15 ماي 2007.

4- تشارل رولو، كامو الرجل الطيب، ترجمة ماهر بطوطي، مجلة الآداب، العدد 21، بيروت، لبنان سنة 1963.

- 5- جابر عصفور، الرواية واللغة والهوية، جريدة الأهرام، العدد 4746، سبتمبر، 2015
- 6- جريدة الرياض، قراءة في مفهوم الإنتماء الوطني، عبد الله بن ناجي آل مبارك، العدد 2 جوان 2017.
- 7- طيب بودربالة، صورة الجزائر في الأزمنة الفرنسية، علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، مطبعة منصور العدد 2 - 3 سنة 2010.
- 8- نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والثورة التحريرية، صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر وأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، العدد 7، سنة 2011.

#### الموسوعات ودائرة المعارف

عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د.ط)،  
سنة 1983

#### قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

- 1) Bonne Charles la situation algérien et conscience national après l'indépendance, oct. 1985, n 85 pairs notre libraire.
- 2) Jean Déjeux, la littérature algérien contemporaine, presse universitaire français, France, 1<sup>er</sup> édition 1975.
- 3) Jean Déjeux, la situation du littérateur maghrébin de la langue française, Alger 1982.
- 4) Jean dejeux la littérature maghrébin de la langue françaises ed naaman 1978
- 5) Mouloud Feraoun, lettre a ses amis, édit par seuil, paris 1969.

6) -<https://www.alarab.co.uk> أطلع عليه يوم الثلاثاء 24/ 4/ 2018 على الساعة 22:10 ،  
7) -[www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ- ج	المقدمة
	المدخل
17-5	
	<b>الفصل الأول: إشكالية الهوية والانتماء مفاهيم وإرتسامات في الأدب.</b>
32-19	المبحث الأول: الرواية الجزائرية وإشكالية اللغة
42-32	المبحث الثاني: الخطاب الروائي والميلاد المزدوج للأنثى والأخر
52-43	المبحث الثالث: أزمة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية
	<b>الفصل الثاني: جدلية الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.</b>
66-54	المبحث الأول: الكتاب الجزائريون واختيار الكتابة باللغة الفرنسية
75-67	المبحث الثاني: الكتاب الفرنسيين والكتابة بلغتهم الأصل
85-76	المبحث الثالث: علاقة الأدب الجزائري بالأدب الكولونيالي .
87	خاتمة
92-89	قائمة المصادر والمراجع
94	الفهرس